٦٨
المجلد

ISSN 2347-2456

شعارنا الوحيد إلى الإسلام من جديد

البعث الإسلامي

مجلة إسلامية شهرية جامعة

العدد السادس – المجلد الثامن والستون
ذو القعدة ١٤٤٣هـ – يوليو ٢٠٢٢م

- أمة الدعوة ومسئوليتها في عالم البشر ! (افتتاحية العدد)
- حجة الوداع آية بينة ومعجزة خالدة
- البلاغة والإعراب والبيان في القرآن الكريم
- التعليم والدعوة وتأثيرهما على المجتمع
- العلاقة الفكرية بين الدكتور محمد يوسف موسى والسيد أبي الحسن الندوي
- الأسلوب الفني في أمثال القرآن الكريم
- سفر النساء للحج دون محارم
- تطور الشعر العربي في العصر العثماني
- أدوات الشرط وأنواعها في القرآن الكريم واللغة العربية
- وداعاً . . شيخ اللغويين الدكتور/ عبدالغفار هلال
- صياغة الأذهان أولى وأهم من صياغة القرارات

تصدرها : مؤسسة الصحافة والنشر، ص.ب.٩٣، لكناؤ. الهند
If undelivered please return to:
Al Baas El Islami, Majlis Sahafat wa Nashriyat , Nadwatul Ulama Campus, Tagore Marg,
Post box no.93 Lucknow-226007 Uttar Pradesh, India.
Email: info@albasulislami.com Website: www.albasulislami.com

العبقري العصامي !

العبقري العصامي الذي يأخذ من علوم الغرب ما تفتقر إليه أمته وبلاده ، وما ينفع عمليًا ، وما ليس عليه طابع غرب أو شرق ، إنما هي علوم تجريبية تطبيقية ، وينفض عن كل ما يأخذه من الغرب غبارًا لصق به في القرون المظلمة ، وفي عصر الثورة على الدين ، وفي حالة توتر أعصاب وقلق نفوس ، يأخذ العلوم المفيدة مجردة من روح الإلحاد والعداء للدين ، ومن النتائج الخاطئة ، ويطعمها بالإيمان بفاطر الكون ومدبره ، ويستنتج منها نتائج أعظم وأوسع وأعمق وأكثر سعادةً للإنسانية ، مما توصل إليه أساتذتها الغربيون .

العبقري العصامي الذي لا ينظر إلى الغرب كإمام وزعيم خالد ، وإلى نفسه كمقلد وتلميذ دائم ، إنما ينظر إلى الغرب كزميل سبق ، وكقرين تفوّق في بعض العلوم المادية والمعاشية ، فيأخذ منه ما فاته من التجارب ، ويفيض عليه بدوره ما سعد به من تُراث النبوة ، ويعتقد أنه إن كان في حاجة إلى أن يتعلم من الغرب كثيرًا ، فالغرب في حاجة إلى أن يتعلم منه كثيرًا ، وربما كان ما يتعلمه الغرب منه أفضل مما يتعلمه هو من الغرب ، ويحاول أن ينهج - بذكائه وجمعه بين حسنات الغرب والشرق ، وقوى الروحانية والمادية - ويضيف إلى المدارس الفكرية ، والمناهج الحضارية مدرسة جديدة تستحق كل عناية ودراسة وتقليد واتباع. هذا هو العبقري العصامي الذي لا يزال مفقودًا في صفوف القادة والزعماء في العالم الإسلامي على كثرتهم وتنوعهم ، وهذا هو العملاق حقًا الذي يبدو في جانبه القادة المقلدون المطبقون صغارًا متواضعين كالأقزام.

(سماحة العلامة الندوي رحمه الله)

الاشتراكات السنوية

- **في الهند**

أربع مأة (بالبريد العادي)	٤٠٠ / روبية
ست مأة و عشرون(بالبريد المسجل)	٦٢٠ / روبية
ثمن النسخة	٤٠ / روبية

- **في العالم العربي ، وفي جميع دول العالم:**

٥٠ /دولارًا بالبريد الجوي ، أما البريد العادي فهو ملغى بصفة رسمية

- **المجلة غير ملتزمة بكل فكر ينشر فيها**

عنوان المراسلات:

ترسل الاشتراكات بالشيك: باسم "البعث الإسلامي"

AL-BAAS, A/C NO. 10863759846
IFSC CODE: SBIN0000125, SWIFT CODE: SBININBB157
STATE BANK OF INDIA, LUCKNOW MAIN BRANCH (INDIA)

مكتب البعث الإسلامي

(مؤسسة الصحافة والنشر) ندوة العلماء ص ب ٩٣، لكناؤ (الهند)

AL-BAAS-EL-ISLAMI
MAJLIS SAHAFAT WA NASHRIYAT , NADWATUL ULAMA
P.O. BOX. 93, LUCKNOW - 226007 - U.P. (INDIA)

بسم الله الرحمن الرحيم

المجلد ٦٨

شعارنا الوحيد إلى الإسلام من جديد

مؤسسة الصحافة والنشر

البعث الإسلامي

مجلة إسلامية شهرية جامعة

July 2022

يوليو ٢٠٢٢م

العدد السادس – المجلد الثامن والستون – ذو القعدة ١٤٤٣هـ – يوليو ٢٠٢٢م

ندوة العلماء

تأسست ندوة العلماء ودارالعلوم التابعة لها على مبدأ التوسط والاعتدال، والجمع بين القديم الصالح والجديد النافع،وبين الدين الخالد الذي لا يتغير، والعلم الذي يتغير ويتطور ويتقدم ، وبين طوائف أهل السنة التي لا تختلف في العقيدة والمنصوص، وقامت من أول يومها على الإيمان بأن العلوم الإسلامية علوم حية نامية ، وأن منهاج الدراسة خاضع لناموس التغير والتجدد ، فيجب أن يتناوله الإصلاح والتجديد في كل عصر ومصر، وأن يزاد فيه، ويُحذف منه بحسب تطورات العصر، وحاجات المسلمين وأحوالهم.

الإمام العلامة الشيخ السيد أبوالحسن علي الحسني الندوي (رحمه الله)

أنشأها

فقيد الدعوة الإسلامية

الأستاذ محمد الحسني رحمه الله تعالى

في عام:١٣٧٥هـ -١٩٥٥م

المشرف العام

العلامة السيد

محمد الرابع الحسني الندوي

رئيس التحرير

سعيد الأعظمي الندوي

مدير التحرير

محمد فرمان الندوي

مساعد التحرير المسئول عن المكتب

محمد عبد الله المخدومي الندوي

المراسلات

البعث الإسلامي

مؤسسة الصحافة والنشر

ص.ب.٩٣ لكناؤ (الهند)

AL-BAAS-EL-ISLAMI

MAJLIS - E - SAHAFAT -WA- NASHRIYAT P. O. BOX: 93 Tagore Marg, Lucknow. Pin:226007 U. P. (India) Mob: 9889336348, 8400476826

Email: albaas1955@gmail.com , info@albasulislami.com

محتويات العدد

العدد السادس ــ المجلد الثامن والستون ــ ذو القعدة ١٤٤٣هـ ــ يوليو ٢٠٢٢م

❖ **الافتتاحية :**

أمة الدعوة ومسئوليتها في عالم البشر ! — سعيد الأعظمي الندوي — ٥

❖ **التوجيه الإسلامي :**

حجة الوداع آية بينة ومعجزة خالدة — الإمام العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي — ٩

البلاغة والإعراب والبيان في القرآن الكريم — معالي الشيخ الدكتور راشد عبد الله الفرحان — ١٤

❖ **الدعوة الإسلامية :**

التعليم والدعوة وتأثيرهما على المجتمع — سماحة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي — ١٩

العلاقة الفكرية بين الدكتور محمد يوسف موسى والسيد أبي الحسن الندوي — فضيلة الشيخ فاروق صالح باسلامة — ٢٤

الأسلوب الفني في أمثال القرآن الكريم — الدكتور عبد الصمد الندوى — ٢٦

❖ **الفقه الإسلامي :**

سفر النساء للحج دون محارم — أ . د . المفتي محمد مصطفى عبد القدوس الندوي — ٣٣

❖ **دراسات وأبحاث :**

تطور الشعر العربي في العصر العثماني — الدكتور محمد شهاب الدين — ٤٦

التناص الديني في روايات غازي القصيبي — الأخ زبير حسين — ٥٦

أدوات الشرط وأنواعها في القرآن الكريم واللغة العربية — الباحثة وسيمة نور — ٦٦

❖ **رجال من التاريخ :**

وداعاً . . شيخ اللغويين الدكتور/ عبدالغفار هلال — أ . د/ محمد بلاسي — ٧٣

اللواء الركن / محمود شيت خطاب — الدكتور غريب جمعة — ٧٨

❖ **في مسيرة الحياة :**

٤٨/ سنةً في ظلال تربية الإمام العلامة أبي الحسن الندوي — سعيد الأعظمي الندوي — ٨١

❖ **بأقلام الباحثات :**

ملامح التكرير في " الأيام " لطه حسين — الباحثة بشرى أمين — ٨٦

❖ **صور وأوضاع :**

صياغة الأذهان أولى وأهم من صياغة القرارات — محمد فرمان الندوي — ٩١

❖ **في رياض الشعر :**

قصيدة / حول خليل الله إبراهيم عليه السلام — الأخ أبو بكر الصديق الفيضي الندوي — ٩٥

❖ **إلى رحمة الله تعالى :**

١. أيقونة الإنسانية صاحب السمو خليفة بن زايد آل نهيان في ذمة الله تعالى — الأخ الحافظ محمد جسير — ١٠٠

٢. الشيخ محمد عباس الندوي المدني إلى رحمة الله تعالى — قلم التحرير — ١٠٢

٣. الشيخ حفيظ الرحمن الأعظمي العمري إلى رحمة الله تعالى — " " " — ١٠٢

بسم الله الرحمن الرحيم

أمة الدعوة ومسئوليتها في عالم البشر !

لقد عمر الله تعالى هذه المعمورة الإنسانية مع خلق آدم عليه السلام وزوجته ، وبذلك أكرمها الله تعالى خلال وقت لم يكن طويلاً ، فكان ذلك أول أساس للعمران البشري .

وقد جمعهما الله تعالى لعمران هذه الدنيا بالبشر ، الذي أُكرم قبل كل شيئ بالعقل الإنساني والفهم البشري ، ومن خلال هذا المبدء البشري تكونت دنيا العقل البشري الذي يتلقى من خالقه سبحانه وتعالى منهج الحياة ، وعلى أساس ذلك المنهج تتكون مدرسة ربانية تكون أساساً أولياً لتربية العالم البشري وبيان أساليب الحياة في هذه المعمورة التي بدأها الله سبحانه وتعالى من خلق آدم وزوجته ، فذلك هو الأساس المعلوم لعمران هذه الكائنات كلها ووجود هذا العالم الذي نعيش فيه اليوم ، ويعيش فيه عدد ضخم في مقاطيع الأرض وبلدانها التي ملأها الله سبحانه بواسطة سيدنا آدم عليه السلام .

فكان قضاء الله تعالى بإيجاد عالم من أولاد آدم وتوفير كل شيئ من الغذاء واللباس وبناء مراكز لتقوية العالم البشري وتوسعة مساحته ، وتعميره بالأرض والجبال والبحار ، ثم بالجامعات العلمية والأسواق التجارية والتجارات الواسعة الفردية والجماعية ، وبمدارس العلم والتقنية واختراع الجد وبكل ما يفتقر إليه العالم البشري مع الاشتغال بالآلات والمصانع وكنوز الذهب والفضة ومرافق الزينة للرجال والنساء والفقراء والأغنياء وفي جميع الأحوال والحاجيات التي يفتقر إليها عالم البشر وما فيه من أرواح وأجناس وشعوب وأقوام .

وبكل ذلك يتمثل العالم الأرضي ، وتنتظم شئون الموجودات

الأرضية والكائنات التي أوجدها الله سبحانه بين الأرض والسماء ، وفوّض إليها المسئولية التي تساعد في تحقيق الغرض الذي أراده الله سبحانه من خلال هذه المعمورة العالمية أرضاً وسماءً ، ومن ثم فإن العالم البشري أقل نموذج لما أراده الله تعالى من تمثيل صناعاته العظيمة العالية التي لا يكاد يتصورها العقل البشري إلا في ظرف محدود ، كأن نملةً صغيرةً تتراءى خلال شق من جدار أو في ناحية بعيدة من الأرض أو بثقب من الجدار ، بل الواقع أن الإنسان ليس له خيار بل ليس له حراك من الحياة إلا بأمر من الله تعالى ، ولا يستطيع أن يمثل حياته بأي زاد أو آلة ، إلا أن يشاء الله تعالى .

(يا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَاكُمْ) (سورة الحجرات : ١٣) .

فالآية أكبر دليل على أن الله تعالى خلق الإنسان ووزعه بين شعوب وقبائل لمجرد التعارف دون غرض آخر ، فمن كان يتبين نعمة الله العظيمة عليه التي جعلته في مصاف البشر دون الحيوانات والبهائم النافعة أو الضارة ، فكان ذلك أعظم منة لا يكاد يعرف مغزاها كل إنسان ، بل الواقع أن من عرف خالقه وخالق السماوات والأرض وفكر في شئون هذه الكائنات ، ودرس قدرة الله تعالى بتدبر غاير وتأملٍ عميق في صناعاته العملاقة ، فهو الذي يستطيع أن يتعرف بشيئ من طاقاته وصناعاته وقدراته الهائلة ، ولم يخلق الله الإنسان من نطفة أمشاج إلا للابتلاء ، ولم يكرمه بالاهتداء إلى الطريق المستقيم إلا لكي يكون من عباده الشاكرين ، ومن ضل الطريق فكان من الكافرين الذين كفروا بنعمة الله تعالى ، وقد فرق الله سبحانه في الإنعام والجزاء بين الشاكرين والكافرين فقال : (إِنَّا خَلَقْنَا ٱلإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً . إِنَّا

هَدَيْنَاهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً . إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلاَسِلَ وَأَغْلاَلاً وَسَعِيراً . إِنَّ ٱلأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً . عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً) (سورة الإنسان : ١ – ٦) .

لم يكن هناك فرق بين الإنسان الكافر والإنسان المسلم في ظواهر الخلق وأشكال البنية الطبيعية ، إنما الفرق بينهما من ناحية الإيمان والكفر والاستماع إلى تعاليم الله تعالى للمسلم وإكرامه بالجزاء الأوفى ، وفي جانب آخر تحدث عن العقاب الذي قرره الله سبحانه للكافرين ، وذلك ما أشار الله تعالى إليه بقوله : (إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلاَسِلَ وَأَغْلاَلاً وَسَعِيراً) .

ومن ثم جعل الله سبحانه وتعالى جداراً فارقاً بين المرء المسلم والإنسان الكافر ، وقرر لكل واحد منهما جزاءً متميزاً ، فهذا المسلم المؤمن بالله ورسوله والعائش في شكر نعمة الله التي قررها لعبده المتفاني في حبه وبأداء واجب الإيمان واليقين والمتفاني في أداء مسئوليات الحب والوفاء والقيام بالعبادة الخالصة في أداء كل واجب من واجبات الدين والعلم والخضوع أمام جميع الأوامر مهما كانت ، من التوحيد والإيمان بالآخرة والعبودية الصادقة والدخول في جنات النعيم إزاء أداء جميع معاني العبودية لله تعالى ، يقول في كتابه العظيم : (لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِى هٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ ٱلآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ . جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآؤُونَ كَذٰلِكَ يَجْزِى ٱللَّهُ ٱلْمُتَّقِينَ) (سورة النحل : ٣٠) .

ولعل برامج إرسال الرسل السابقين بدءاً من آدم عليه السلام إلى خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم إنما كانت للدين الحنيف ، الإسلام ، وإرسال آخر الرسل وأصحابه وتابعيهم لبناء الأمة المحمدية الدائمة الخالدة الرائدة للإنسان المسلم المؤمن الكامل

بتعاليم الدين الأخير ، للتمييز بين الأمة الإسلامية وأمة الكفر وجماعاتها .

وكان الغرض الأساسي لتربية الإنسان أن يتسع هذا العالم بجميع آلات العلم والثقافة والحضارة المطلوبة ، وقد تم ذلك الغرض بالبعثة المحمدية – على صاحبها الصلاة والسلام – التي كانت شاملةً جامعةً ربانيةً إلى يوم الدين ، ذلك لكي يتفسح المجال للإنسان أن يجمع كل من خلقهم الله تعالى من الناس في عالم البشر ويمنحهم الخيار بين ما هو الإسلام الصحيح الكامل وبين الطرق الحيوية الأخرى ، وإن كانت من العلم والثقافة أو باسم الأدب والفن ، إذا كانت في تقوية الإيمان بالله ورسوله وتعاليم الإسلام الدينية والعلمية والثقافية ، فيدخل في برامج الدعوة إلى معرفة قدرة الله تعالى ، أما إذا كانت لأغراض مادية فحسب فهي غير مقبولة في المجتمع الإسلامي ومرفوضة رفضاً باتاً .

ومن الممكن أن نعرف قيمة الإنسان في هذا العالم ، القيمة التي وضعها الله تعالى وعيّنها بين أوساط لا علاقة لها بالإنسان السليم وأساس الدين الإسلامي .

(يا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) (سورة الحجرات : ١٣) .

فما أحوجنا إلى دين الإسلام الأخير والعمل بتعاليمه في هذا العالم المادي ، وقد جعلنا الله تعالى أمة الدعوة ليس غير .

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

سعيد الأعظمي الندوي
١٤٤٣/١٠/٢٣هـ
٢٠٢٢/٥/٢٤م

حجة الوداع

آية بينة ومعجزة خالدة

بقلم : الإمام الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي

مما أكرم الله به الأمة الإسلامية من بين أمم العالم ، وخص به الإسلام من بين الأديان هذا الحج الذي لم يُعرف في تاريخ الديانات والنظم والشعوب والأمم نسك يضاهيه في التأثير والإصلاح ، وربط القلوب بالله ، وإثارة الحنان والأشواق ، وتسليتها ، وتحقيقها بالطريق الأمثل ، وتجديد الصلة بأصل الملة ومؤسسها ، وشحن النفوس بالقوة والإيمان الجديد ، وإشعال مجامر القلوب بالحب والحنان ، والتمرد على الأوضاع والعادات ، والتحرر من ربقة الأعراف ، والدعوة إلى التوحيد والدين الخالص ، والتجرد من كل مظاهر الشرك والوثنية ، والسمو على الحواجز المكانية ، والفوارق الإنسانية ، وفي تحقيق مقاصد التعليم والتربية ، والتبليغ والدعوة ، وفي عصمة هذا الدين عن التحريف ، وفي وقاية هذه الأمة عن الانحراف العام ؛ وعن وقوعها فريسة لتحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين ، وفي المحافظة على أصل واحد ونبع واحد ، وفي توطين النفوس على المشاق والمكاره ، وأن تبقى هذه الأمة طوع إشارة ، ورهينة أمر ، لا تتشبث بعادة ، ولا تعبد مألوفا [1] ، ولا أبلغ من قوله تعالى : (لِّيَشْهَدُواْ مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ) [الحج : ٢٨] .

وقد كانت حجة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو خاتم النبيين من الآيات البينات والمعجزات الخالدات ، فقد كانت فريدة من بين سير الأنبياء وعباداتهم ، ومناسكهم فضلاً عن سائر الناس ، وقد كانت فريدة من نواح كثيرة ، كانت فريدة من الناحية التعليمية والبلاغية ، فريدة من الناحية الإصلاحية والتربوية ، فريدة من الناحية الباطنية والروحية ، فريدة في مدى اهتمام الناس الذين أكرمهم الله بالسير في ركابه ، وحضور الموسم معه بتتبع آثاره ، وحفظ أخباره ،

[1] ليرجع في مقاصد الحج وأسراره إلى كتاب " حجة الله البالغة " لحكم الإسلام الشيخ ولي الله الدهلوي – رحمه الله – .

ومراقبة حركاته وسكناته ، وتسجيل غدواته وروحاته ، وفي مدى اعتناء طبقات الأمة من السلف إلى الخلف بكل ما صدر عنه صلى الله عليه وسلم في هذا السفر من قول ، أو عمل ، أو عادة ، أو عبادة ، أو نفي ، أو إثبات ، أو تقرير ، أو إنكار ، فقهاً واستنباطاً للأحكام . واستخراجاً للجزئيات ، وتفريعاً للفروع ، وعلت في ذلك هممهم ، ودقت فيه أفهامهم ، ورق فيه شعورهم ، حتى عصروا في ذلك أذهانهم ، وعقولهم ، وبلغوا في الدقة والتفصيل غاية ما وراءها غاية ، ولم يكن الفضل في ذلك وحده للعلم ، ولا للعقل وحده ، وقد جربنا نشاط العلم والعقل ، ومدى وفائهما لموضوعهما في تدوين رحلات العلماء وتاريخ الزعماء ، فقد فاتهم الشيئ الكثير الذي ليست له قيمة علمية ، أو أهمية تاريخية ، بل كان في ذلك نصيب كبير للحب الذي لا يغفل ، ولا يلهو ، ولا يمل ، ولا يني ، ولا يتخلى عن شعرة من الشعرات ، ولا يتنازل عن ذرة من الذرات ، بل يتمسك بها ، كأنها أفضل بضاعة ورأس مال ، بل كأنها حشاشة نفس ، وحبة قلب .

وقد رافق الحب العقل في هذه الرحلة الطويلة المباركة منذ أعلن رسول الله صلى الله عليه وسلم الحج ، وأقبل إليه المسلمون من كل صوب ، وتهافتوا عليه تهافت الفراش على سراج منير ؛ فلم يفترقا ، حتى عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، وقد راقبا سيره ، ووقوفه ، وأقواله ، وأفعاله ؛ فحفظا للأمة والأجيال القادمة سجلاً دقيقاً ، وكتاباً ناطقاً ، بل صورة مشرفة لهذه المرحلة الكريمة ، يرى فيها المسلم مسير رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة إلى مكة ، فمنى ، فعرفات ، ورجوعه صلى الله عليه وسلم إلى مكة ، ثم قفوله للمدينة ، يراه يطوف ، ويسعى ، ويسمعه يفتي ، ويعلّم ، ويخطب ، ويتكلم ، ويشهد المشاهد كلها ، كأنه رأي عين ، وحديث أمس ، فيعوض ذلك عن هذا الركب الميمون ، وعن إدراكه لهذه السعادة العظمى ، ويمثل له الغائب ، ويعيد إليه الماضي ، فيتعزى بذلك ، ويحمد الله ، ويعترف لأولئك العشاق المتيمين ، والرواة الأمناء المدققين بالفضل والإحسان ، ويدين لهم بالشكر والامتنان ، فما صنعت أمة بنبيها مثل هذه الأمة ، ولا حرصت على تخليد آثاره ، ورواية أخباره ، ونقل دقائقه وجلائله مثل ما حرصت هذه الأمة ، ولا اعتنى علماء دين بدراسة عبادة من عبادات أنبيائهم ، مثل ما اعتنى علماء هذه الأمة بهذه الحجة ، ولا تعمقوا مثل تعمقهم في ذلك .

وقد دلت كل القرائن على أن هذه الحجة كانت مقصودةً من الله بهذا التفصيل ، ولم تكن فلتة من الفلتات ، بل جاءت في وقتها المناسب ، وقد جعل الله لكل شيئ قدراً . وكانت في تأخيرها إلى هذا الوقت حكمة بالغة ، ومصلحة راجحة ، فقد انتشر الإسلام في جزيرة العرب ، وكثر المسلمون ، وقوي الإيمان ، وشب الحب ، واستعدت النفوس للتعلم والاستفادة وهفت ، ورنت العيون إلى المشاهدة والمراقبة ، ودنت ساعة الفراق فألجأت الضرورة إلى وداع الأمة ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة ليحج البيت ، ويلقى المسلمين ، ويعلمهم دينهم ومناسكهم ، ويؤدي الشهادة ويبلغ الأمانة ، ويوصي الوصايا الأخيرة ، ويأخذ من المسلمين العهد والميثاق ، ويمحو آثار الجاهلية ، ويطمسها ، ويضعها تحت قدميه .

فكانت هذه الحجة تقوم مقام ألف خطبة ، وألف درس ، وكانت مدرسة متنقلة ، ومسجداً سياراً ، وثكنة جوالة ، يتعلم فيها الجاهل ، وينتبه الغافل ، وينشط فيها الكسلان ، ويقوى فيها الضعيف ، وكانت سحابة واحدة تغشاهم في الحل والترحال ، هي سحابة صحبة النبي صلى الله عليه وسلم وحبه وعطفه ، وتربيته ، وإشرافه .

وقد كان من آثار نضج المسلمين العقلي ، وقوة حبهم ، وشدة تعلقهم بكل ما يصدر عن هذه الشخصية الحبيبة المفدَّاة أن سجلوا كل دقيقة من دقائق هذه الرحلة ، وكل حادث من حوادثها الصغيرة ، لا يحتفل بأمثالها في رحلات العظماء والرؤساء ، والملوك والأمراء ، والعلماء والنبغاء ، وذلك شأن المحب الوامق ، والعاشق الصادق ، الذي يرى كل شيئ لمحبوبه حسناً ، فيتلذذ بذكره ، ويسترسل في حديثه ، لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا يحصيها ؛ ولا دقيقة نادرة إلا يستقصيها .

يتطيب رسول الله عند إحرامه فيذكرون من باشر هذا التطيب ، ويذكرون نوع هذا الطيب ، فيقولون : " ثم طيبته عائشة بيدها بذريرة [1] وطيب فيه مسك ، حتى يرى وبيص المسك في مفارقه ولحيته صلى الله عليه وسلم ، وشعر رسول الله صلى الله عليه وسلم هديه ، فيذكرون تفصيله ، وتحديده ، هل كان في الجانب الأيمن ، أو الأيسر ، وكيف سلت عنها الدم . ويذكرون احتجامه ، والاحتجام فعل طبي طبعي لا صلة له بمناسك الحج ، فيحددون مكانه من الجسم ، وموضعه من الطريق ،

[1] وقد أفاض الشراح في وصف الذريرة وأنواعها ، وهي نوع من الطيب .

فيقولون : " واحتجم بملل ؛ وملل موضع بين مكة والمدينة على سبعة عشر ميلا من المدينة " ، ويقولون : واحتجم على رأسه بلحى جمل (وهو موضع في طريق مكة) . وتهدى له قطعة لحم ، وهي حادثة عادية ، تتكرر ، ولا تسترعي الاهتمام في عامة الأحوال ، فيذكرونها بالتحديد والتفصيل ، فيقول الراوي : " حتى إذا كانوا بالأبواء أهدى له الصعب بن جثامة عجز حمار وحشي " . ويحددون المنازل بين المدينة ومكة ، ويعدون أيامه في السفر ، وذلك في زمان لم يعرف الناس فيه كتابة اليوميات ، وتدوين المذكرات ، ولكن الحب يهم ويخترع ، فيقول الراوي : ثم نهض إلى أن نزل بذي طوى ، فبات بها ليلة الأحد لأربع خلون من ذي الحجة ، وصلى بها الصبح ، ثم اغتسل من يومه ، ونهض إلى مكة . ولم تفتهم شاردة ولا نادرة في هذه الرحلة التي كثرت فيها الشواغل ، وتعددت فيها المنازل ، واشتد فيها الزحام ، فلم يفتهم أن يقيدوا خروج حية في هذا المشهد الحافل ، وإفلاتها من القتل ، فيقول الراوي ، وهو يذكر ليلة منى : " وخرجت حية وأرادوا قتلها فدخلت في جحرها " . ويذكرون كل من كان رديف [1] رسول الله في هذه الرحلة ؛ ويذكرون اسم الحلاق ، وكيف قسم شعره ، ومن خصهم بالشق الأيمن ، ومن خصهم بالشق الأيسر ، وهذه كلها تفاصيل و دقائق لم يكن مصدرها إلا الحب العميق .

ومن العبث وإضاعة الوقت أن يبحث نظائرها في رحلات القادة ، وتاريخ المشاهير ، وقد أخلّت أمم كثيرة بحياة أنبيائها وسيرهم وأخبارهم ، ومراحل حياتهم ، وضيعوا منها الشيئ الكثير الذي لا تكمل حياتهم ، ولا يتم تاريخهم إلا به ، ولم يحافظوا إلا على النزر اليسير من أخبارهم وأحوالهم ، فجل ما نعرف من حياة سيدنا المسيح عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام هو أخبار السنوات الثلاث الأخيرة من سيرته وأخباره ؛ وهنالك أصحاب رسالات وديانات في بلاد متمدنة عريقة في العلم لم تبق إلا أسماؤهم ، ونتف من أخبارهم ، لا تشفي العليل ، ولا تروي الغليل ، ولا تقود الأجيال ، ولا تنير السبيل .

وقد كان الحج بطبيعته ، ووضعه الخاص ؛ الذي يمتاز به عن سائر الأركان ، وانتقاله من طور إلى طور ، ومن فعل إلى فعل ، ومن نسك إلى نسك ، ومن مكان إلى مكان ، وما يتعلق به من الأحكام

[1] وقد استوعب صاحب نسيم الرياض أسماء كل من أردفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في حياته فذكر نحو ثمانية وثلاثين رديفاً ، وزاد ابن مندة على هذا العدد.

والآداب والجزئيات ، وتنوع أحوال الناس فيه من أوسع أبواب الفقه ، وأكثرها أحكاماً ، ومسائل وأدقها ، ولذلك عُني به العلماء قديماً وحديثاً ، انفرد بعلمه والإفتاء فيه علماء مختصون من التابعين ، وأتباع التابعين بعدهم ، وكان يُشار إليهم بالبنان ، وقد يعينهم الخلفاء ومن بيدهم الحل والعقد ؛ فيعلن : " لا يفت في الموسم إلا فلان وفلان " وجرت سنة الخلفاء الراشدين وخلفاء بني أمية وبني العباس بتعيين أمير الحج ، وإرساله للحج [1] .

أكثر علماء الإسلام وفقهاء الأمصار والمؤلفون الكبار البحث فيه ، وتوسعوا فيه توسعاً لم يعرف لغيره من أبواب الفقه ، ومنهم من أفرد له تأليفاً ، وألف كتاباً خاصاً في المناسك ، وإذا أفردت هذه الكتب التي ألفت المناسك وأحكام الحج في عصور مختلفة ، وفي بلاد مختلفة ، وفي لغات مختلفة ؛ كونت مكتبة كبيرة ، ومن المؤلفين من اختص بمذهبه ومنهم من ذكر المذاهب الأخرى ، واستعرض دلائلها ، وبحث بحثاً مقارناً ، ومنهم من أفرد كتاباً بحجة الوداع .

وكل ذلك يدل على مكانة الحج في الإسلام ، ومدى عناية الأمة به ، وقد كانت هذه الفريضة التي تفرض مرة في العمر ، وما ورد فيها من الفضائل ، وما وعد الله عليها وأخبر به رسوله صلى الله عليه وسلم من الأجر العظيم ، والثواب الجزيل ، والمغفرة من الذنوب : (من حج ، فلم يرفث ، ولم يفسق ؛ رجع كيوم ولدته أمه) ، وما يستتبع هذا السفر عادة من الاهتمام الزائد ، وتحمل المشاق ، وركوب البحار حيناً ، وقطع البراري والقفار حيناً آخر ، وتجشم الأخطار ، والتعرض للمخاوف ، وفراق الأهل والوطن ، وقبول التزامات الإحرام ومحظوراته ، والابتعاد عن الرفث والفسوق والجدال ، كان كل ذلك كافلاً بأن تتوافر الدواعي ، وتشحذ العزائم ، وتتوجه الهمم إلى معرفة فقهه وآدابه وسننه ، وبذل أقصى الطاقة في إحسانه وإكماله ، وأن تقتفى فيه آثار النبي صلى الله عليه وسلم وتتبع سننه ، ويقتدى بهديه بقدر الإمكان وإلى ما يبلغه جهد الإنسان ، فكان كل ذلك باعثاً على العناية بحجة النبي صلى الله عليه وسلم التي كانت ولا تزال الحجة المثالية لكل مسلم في كل عصر ومصر إلى أن يرث الله هذه الأرض ومن عليها .

---

[1] راجع البداية والنهاية ، لابن كثير وغيره من كتب التاريخ .

البلاغة والإعراب والبيان في القرآن الكريم

(سور التكاثر والهمزة والفيل وقريش والماعون والكافرون
والنصر والمسد والصمد والفلق والناس)

بقلم : معالي الشيخ الدكتور راشد عبد الله الفرحان *

سورة التكاثر

٣ (كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ) .
٤ (ثُمَّ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ) .
٥ (كَلاَّ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ) .

كلاَّ :

كلا في المواضع الثلاثة للردع والزجر ، والثالث بمعنى حقاً (لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ) ، فيها حذف جواب لولا محذوف للتهويل ، أي لو تعلمون كذلك لفعلتم ، أي لو تعلمون علماً يصل إلى القلوب لما ألهاكم التكاثر في الأموال والأولاد والزينة ، ولبادرتم إلى الأعمال الصالحة ، وعدم العلم الحقيقي صيَّركم إلى ما ترون .

٨ (ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ) .

هذا سؤال مثبت عام ، وجاء في الرحمن (فَيَوْمَئِذٍ لاَّ يُسْأَلُ عَن ذَنبِهِ إِنسٌ وَلاَ جَآنٌّ) سؤال منفي خاص بالمجرمين عن الذنوب ، ويعني الاستخبار والاستعلام فالله أعلم بأفعالهم منهم (أَحْصَاهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ) ، وفي الأعراف (فَلَنَسْأَلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ) ، وفي الحجر (فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ . عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ) ، وهذا السؤال المثبت العام سؤال حساب ، ولذلك سمي يوم القيامة يوم الحساب .

سورة الهمزة

١ (وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ) .
٢ (ٱلَّذِى جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُ) .

* وزير الأوقاف والشئون الإسلامية في دولة الكويت سابقاً .

الهمز واللمز :

الهمز واللمز بمعنى واحد ، وهو الذي دأب على أن يعيب الناس ويثلم في أعراضهم ، ويطعن فيهم بأي وسيلة سواءً باللسان أو الإشارة ، فمثل هذا الشخص لا ينفعه ماله حينما يوضع في نار جهنم .

سورة الفيل

١ (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ ٱلْفِيلِ) .
٢ (أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ) .
٣ (وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْراً أَبَابِيلَ) .
٤ (تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ) .
٥ (فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ) .

(أَلَمْ تَرَ) ألم تعلم ، والاستفهام للتقرير ، والعصف المأكول هو التبن أكلته الدواب شبه تقطيع أوصالهم من رميهم بالحجارة بتفرق أجزاء النبات اليابس كقشر البُر ، من تشبيه المحسوس بالمحسوس .

سورة الماعون

٤ (فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ) .
٥ (ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلاَتِهِمْ سَاهُونَ) .
٦ (ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ) .

ساهون :

هؤلاء هم المنافقون سماهم (مُصَلِّينَ) ، لأنهم يصلون رياءً ويتركون الصلاة حينما لا يراهم أحد ، والمراد بالسهو التغافل والتكاسل عن أدائها .

سورة الكافرون

١ (قُلْ يَأَيُّهَا ٱلْكَافِرُونَ) .
٢ (لاَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ) .
٣ (وَلاَ أَنتُمْ عَابِدُونَ مَآ أَعْبُدُ) .
٤ (وَلاَ أَنَآ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ) .
٥ (وَلاَ أَنتُمْ عَابِدُونَ مَآ أَعْبُدُ) .
٦ (لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ) .

التكرير من عادة العرب ، والقرآن نزل بلغتهم ، وقيل : الأول

للحال ، والثانية للاستقبال ، وقيل : نزلت رداً على سؤال الكفار مرتين حيث قالوا : يا محمد ! تعبد آلهتنا كذا مرة ، ونعبد إلهك كذا مرة .

سورة النصر

١ (إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّه وَٱلْفَتْحُ) .
٢ (وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فى دين ٱللَّه أَفْوَاجاً) .
٣ (فَسَبِّحْ بحَمْد رَبِّكَ وَٱسْتَغْفرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابَا) .

هذه آخر سورة كاملة نزلت من القرآن ، أما آخر آية فهي (وَٱتَّقُواْ يَوْماً تُرْجَعُونَ فيه إِلَى ٱللَّه ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ) في سورة البقرة ، والفتح فتح مكة المكرمة ، روى البخاري من حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت : " ما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة بعد أن نزلت (إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّه وَٱلْفَتْحُ) إلا يقول فيها : سبحانك ربنا وبحمدك ، اللهم اغفر لي " . وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم عاش بعدها سنتين .

سورة المسد

١ (تَبَّتْ يَدَآ أَبى لَهَب وَتَبَّ) .
٢ (مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ) .
٣ (سَيَصْلَىٰ نَاراً ذَاتَ لَهَب) .
٤ (وَٱمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ) .
٥ (فى جيدهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ) .

مَا كَسَبَ — وَمَا كَسَبَ :

ليس بتكرار ، فالأول دعاء ، والثاني خبر ، وتبَّ : خسر ، واشتهر بكنيته أكثر من اسمه ، ولم يذكره باسمه عبد العزى ، لأنه فيه شرك ، وذكر اللهب فيه إشارة إلى النار أي صاحب النار . وكانت امرأته العوراء أم جميل تحمل الحطب ذا الشوك تطرحه ليلاً أمام الرسول صلى الله عليه وسلم ، والحبل الذي تربط به حطبها سيكون حبلاً من النار .

سورة الصمد

١ (قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ) .
٢ (ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ) .
٣ (لَمْ يَلدْ وَلَمْ يُولَدْ) .
٤ (وَلَمْ يَكُنْ لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ) .

الإيجاز :

الآية الأولى : أثبتت الوحدانية ونفت التعدد ، والثانية : أثبتت صفات الكمال ونفت العجز ، والصمد هو السيد ، والثالثة : أثبتت الأزلية ونفت الذرية (لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ) ، والرابعة : نفت الأنداد الأضرار ، فلا غرابة أن تعدل ثلث القرآن .

سورة الفلق

١ (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ) .
٢ (من شَرِّ مَا خَلَقَ) .
٣ (وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ) .
٤ (وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّاثَاتِ فِى ٱلْعُقَدِ) .
٥ (وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ) .

الفلق : الصبح ، وسمي فلقاً لانفلاق الليل عنه ، والغاسق هو الليل إذا دخل ظلامه .

ومن شر النفاثات : الساحرات أو النفوس الشريرة ، قال أبو مسلم : " العقد عزائم الرجال ، والنفث حلها " .

هل سُحر رسول الله صلى الله عليه وسلم :

الجواب : نعم سُحر في جسمه كمرض ، ولم يؤثر في عقله ورسالته ودعوته ، وهذا ثابت بالصحيحين ، وشفاه الله .

كيف يكون معصوماً بقوله تعالى : (وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ) ؟

قال المفسرون : يعصمك من القتل والأمر ، وقال ابن الجوزي : (وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ) من أواخر ما نزل بالمدينة ، وقد سحر وأوذي قبل نزول هذه الآية .

جوابنا على ذلك :

لا شك لو أراد الله سبحانه منع أذى إليه من الأزل لقدر على ذلك ، ولكن وقع ذلك لحكمة كما وقع لكثير من الأنبياء قبله من الابتلاءات فصبروا ، (وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُوراً وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ) الأنعام ١١٢ .

ولو استعرضنا جميع الأنبياء لا نجد نبياً إلا وقد ابتلاه الله بمصيبة أو مرض أو ذنب ، ولكن الله سبحانه ينجيهم مما أصابهم كما أنجى محمداً صلى الله عليه وسلم مما ابتلاه فيه (وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ) ،

وكان ذلك سبباً في نزول السورة .

عُرّفت النفاثات لأن كل نفاثة شريرة ، ونُكِّر حاسد وغاسق ، لأنه ليس كل حاسد وغاسق شراً ، وليس كل حسد مذموماً ، فمنه ما هو خير كما قال صلى الله عليه وسلم : " لا حسد إلا في اثنتين " .

سورة الناس

١ (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ) .
٢ (مَلِكِ ٱلنَّاسِ) .
٣ (إِلَـٰهِ ٱلنَّاسِ) .
٤ (مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ) .
٥ (ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ) .
٦ (مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ) .

ٱلْوَسْوَاسِ :

الوسواس هو الذي يوسوس في صدور الناس ، إما بالخفاء فيكون من الشياطين ، وسماه جن لأنه قد جن واستتر في الإنسان لا يراه ولا يسمع صوته ، وإما أن يكون من الإنس فيكون وسواسه بالعلن والخفاء بحيث يسمعه الموسوس له ، وهذا يوسوس في الصدر مجازاً ، وإنما يوسوس في الأذن فتسمع ما يقول ليغوي صاحبه ، وتكلمنا في سورة ق على هذا الموضوع وبيّنا أن في الإنسان نفسين : نفس خيرية تدفعه للخير ، ونفس شريرة تدفعه للشر ، عبر القرآن عنها بالقرين .

لما نزلت هذه الآية فرح بها النبي صلى الله عليه وسلم ، لكونها مع أختها سورة الفلق جامعة في التعوذ من كل ما فيه شر .

ذكر الشيخ زكريا الأنصاري في فتح الرحمن أن الله تعالى ذكر في هذه السورة الناس خمس مرات :

الأول : (بِرَبِّ ٱلنَّاسِ) الأطفال بقرينة الربوبية .

الثاني : الشبان بقرينة ذكر الملك الدال على السياسة .

الثالث : الشيوخ بقرينة ذكر (الإله) الدال على العبادة .

الرابع : الصالحون بقرينة وسوسة الخناس وهو الشيطان المولع بإغوائهم .

الخامس : المفسدون بقرينة عطفه على الجِنّة المتعوذ منهم .

تمت سورة الناس ، وبها تم الكتاب ، والحمد لله رب العالمين ، وسلام على المرسلين .

التعليم والدعوة وتأثيرهما على المجتمع

بقلم : سماحة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي
تعريب : محمد فرمان الندوي

[عقدت ندوة العلماء دورتها السنوية ، بعد سنتين نظراً إلى جائحة كورونا في ٢٢/ شعبان ١٤٤٣هـ ، المصادف ٢٦/ مارس ٢٠٢٢م يوم السبت في قاعة العلامة المحدث حيدر حسن التونكي في رحاب ندوة العلماء ، حضرها أعضاء المجلس التنفيذي لها من الهند وخارجها ، وقدم بهذه المناسبة رئيس ندوة العلماء سماحة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي (أطال الله بقاءه) تقريراً جامعاً ، وهو يشتمل على ما تقوم به ندوة العلماء من أعمال وجهود في سبيل التعليم والدعوة ، ننشر جزءاً من هذا التقرير معرباً تعميماً للفائدة . التحرير]

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد :

حضرات أعضاء المجلس التنفيذي لندوة العلماء :

فأولاً نشكركم على حضوركم في هذا المجلس ، فقد تحملتم لذلك مشاق السفر ، وجعلتم نصب أعينكم مهمة الدعوة والتعليم ، فهذا دليل على روحكم الإيمانية وذوقكم العلمي ، وهو ما يشجِّع العاملين في مجال الدين والعلم ، ولا شك أن مدارسنا الإسلامية التي هي كالعمود الفقري لبقاء الأمة الاسلامية تتعرض الآن لمشكلات وأمور غير مرضية ، وهي تعوق سيرها الطبيعي نحو التقدم والازدهار ، ونشر التعليم الديني على أوسع نطاق .

إن ندوة العلماء التي تأسست في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي قد دخلت بحمد الله تعالى وفضله في العقد الثالث من القرن الحادي والعشرين الميلادي ، ويعمل الجيل الرابع لها الآن في مجال الفكر والدعوة ، وقد قيض الله لها في كل عهد من العهود رجال أكفاء للعمل الإسلامي ، ونبغاء الأمة الاسلامية ، فكثرت إنجازاتها وخدماتها بإذن الله تعالى ،

فعلى سبيل المثال :

كان في الجيل الأول العلامة السيد سليمان الندوي وزملاؤه الشيخ عبد الباري الندوي ، والشيخ عبد السلام الندوي والشيخ مسعود علي الندوي والشيخ الطبيب السيد عبد العلي الحسني ، وكان في الجيل الثاني الشيخ السيد أبو الحسن علي الحسني الندوي ، والشيخ المؤرخ معين الدين أحمد الندوي والكاتب القدير مسعود الندوي ، والشيخ الداعية أبو الليث الإصلاحي الندوي ، والشيخ محمد ناظم الندوي والشيخ عبد السلام القدوائي الندوي ، والشيخ محمد عمران خان الندوي ، والشيخ محمد أويس الندوي النجرامي وغيرهم من خريجي ندوة العلماء ، وكان في الجيل الثالث القاضي معين الله الندوي ، والشيخ مجيب الله الندوي ، والدكتور عبد الله عباس الندوي ، والدكتور عبد الحليم الندوي ، والبرفيسور حبيب الحق الندوي ، والبروفيسور السيد سلمان الندوي نجل العلامة السيد سليمان الندوي ومعاصروه ، ثم كان الجيل الرابع ، وفيه الكاتب الإسلامي السيد محمد الحسني ، والأستاذ محمد واضح رشيد الحسني الندوي ، والأستاذ الدكتور سعيد الأعظمي الندوي ، والدكتور تقي الدين الندوي ، والبروفيسور محمد اجتباء الندوي ، والأستاذ حبيب ريحان خان الندوي ، والبروفيسور احتشام أحمد الندوي والبروفيسور محمد راشد الندوي ، والأستاذ محمد إسحاق جليس الندوي ، والدكتور محمد لقمان الندوي ، والأستاذ المحدث ناصر على الندوي وتلامذته النجباء .

هذه الأسماء المذكورة أعلاه على سبيل المثال ، وهي نالت شهرةً وعظمةً في العلم والدعوة والثقافة والتنظيم والإدارة ، ولها أعمال وجهود ملموسة في مختلف العلوم والفنون والمجالات المتنوعة .

أيها الحفل الحضور ! فكرة ندوة العلماء تتلخص في الجمع المتزن بين القديم الصالح والجديد النافع ، وخاصةً في مجال التعليم القديم والتعليم الجديد ، وصياغة نظام يمكن به إبلاغ صوت الإسلام إلى كل طبقة من الطبقات ، والتعليم موضوع ذو أهمية بالغة ، يؤثر فيه ثلاثة

عناصر ودواع أساسية من جهات شتى ، وهي تقوم بتكوين أذهان الناشئين والدارسين . أولاً : الأساتذة ، وثانياً : المقررات التعليمية ، وثالثاً : البيئة التعليمية .

هذه العوامل الثلاثة قد أثرت أيما تأثير في صياغة أذهان المواطنين الهنود في القرن التاسع عشر الميلادي ، وكانت البيئة بيئةً إنجليزيةً ، وانصهر نظام التعليم في هذه البيئة أيضاً ، وفي جانب آخر كان العلماء المسلمون الذين يحتفظون بتراثهم القديم ، ويكتفون به ، ثم قامت طبقة منهم نظراً إلى خطورة الأوضاع وشعوراً بمسئولياتهم بإنشاء ندوة العلماء ، لكن هذه العوامل الثلاثة لم تكن متوافرة آنذاك ، فاستغرق ذلك سنوات ، لكن تيسرت الأسباب والوسائل رويداً رويداً ، وتخرج الجيل الأول حسب خطة معلومة ، فهو وإن كان قليلاً في العدد ، لكن بدأ عمل التعليم والدعوة على النظام الجديد ، فظهرت آثار عمله في صورة إنجازات وأعمال إيجابية .

استمر هذا النشاط التعليمي والدعوي بتعاون من الجيل الأول ، لكن خلال هذه المدة انقسم شبه القارة الهندية إلى دولتين ، فتغيرت الأوضاع ، وتبدلت الأحوال ، لكن ندوة العلماء تعمل عملها وتنشر فكرتها ومنهاجها إلى حد ممكن ، لكن حينما نشأ الجيل الثاني والثالث انتشرت فكرة ندوة العلماء على أوسع نطاق ، وظل يُعترف بها عالمياً ، وتوافر رجال في كل عنصر من العناصر الثلاثة ، فرتبت المقررات الدراسية ، ونشأت بيئة تعليمية جديدة ، وكل ذلك من خريجي ندوة العلماء وأبنائها النابغين .

هناك نقطة مهمة في التعليم أنه ليس مجرد تدريس كتاب وترديده على ألسنة الطلاب والناشئين ، بل هو يشتمل على أنواع وأشكال مختلفة ، يبتدئ عمل التعليم من المرحلة الابتدائية إلى مرحلة الأصدقاء والزملاء ، وإلى مرحلة الأساتذة ، لأن الإنسان يتعلم من إنسان آخر ، والنطق وطريقة أداء الكلمات يتعلمه الإنسان أولاً من الأبوين ، ثم يتعلم من بيئته التي يعيش فيها ، ويكون الأساتذة والكتب في هذه المرحلة

عاملين كبيرين له ، كما يستفيد من الحوار والصحافة ، ثم يتوسع هذا النطاق فيتعلم الطالب من وسائل التربية الفنية إلى وسائل الإعلام ، ولا تزال تستعمل هذه الوسائل لتكوين الأذهان وصياغة الأفكار والنشاطات التعليمية .

ففي العالم المعاصر الذي أصبح فيه نظام التعليم حديثاً ، قد نالت وسائل الإعلام والمعنيون بها درجةً كبرى ، وصارت في المرتبة الثانية ، فجميع أنواع الإعلام تشكل أذهان الطلاب ذهنياً وفكرياً ، وتكون مساعدةً في التعليم والتربية ، أما المقررات الدراسية فإنها تتبع مكانة الأساتذة والبيئة التعليمية لمراكز التعليم ، فالوسائل الجديدة بديل عن الأساتذة والكتب ، وهي حرة تماماً ، لا تتقيد بقيم خلقية ، ولا أعراف أسرية ، ولا أصول بناءة ونظرات صالحة ، فالمجتمع الإسلامي كما في حاجة إلى منهج تعليمي إسلامي يشتمل على مقررات دراسية ، وأساتذة ماهرين وبيئة تعليمية ، كذلك في حاجة إلى أجهزة إعلام لا تضاد فكرة الحياة الإسلامية ، وقد سبقت ندوة العلماء في اختيار هذه الوسائل واستخدامها في صالح التعليم والتربية .

أيها السادة ! قد مرت دار العلوم لندوة العلماء والمدارس الأخرى بأشد ساعات في زمن كورونا ، بحيث أقفلت الأروقة ، وانقطعت سلسلة التعليم بطريق مباشر ، فجاء نظام بديل عبر الإنترنت ، اختارته مراكز التعليم العصرية والجامعات الرسمية ، واختارته كذلك بعض المدارس الإسلامية ، فلم تكن ندوة العلماء بمعزل عنها ، وقد مر على هذا النظام عامان ، وتستمر الآن الامتحانات السنوية ، فلم يخسر الطلاب سنواتهم التعليمية ، وإن كانت فيه نسبة التعليم والدراسة ضئيلةً .

إن أوضاع العالم الإسلامي الآن مبعث قلق شديد ، وتفكير دقيق ، ومن أهم أسبابه هو تفرق كلمة المسلمين ، وعدم وحدتهم ، والسبب الثاني أن بلدان العالم الإسلامي بصغر مساحاتها ترتبط ارتباطاً سياسياً وثقافياً بالبلدان الكبرى ، فلا تكون حرةً في تنفيذ برامجها ومخططاتها ، فلا تظهر نتائج العمل المرجو من خلال الإسلام ، والسبب الثالث أن الإعلام هو الذي يصوغ اتجاه العالم ، وهو مكب على تشويه

صورة الإسلام والمسلمين ، ويستخدم اسم الإسلام والمسلمين حسب مصالحه ، ولا نستطيع أن ندافع عنه كما ينبغي لنا ، وإن تفرق المسلمين يحدث في هذا الأمر شدةً وخطورةً ، فإنهم لا ينظرون إلى مثالبهم ، بل ينظرون إلى مثالب الآخرين ومواضع ضعفهم ، وقد أصبح هذا العمل موضةً لنا ، فتنشأ منها الاختلافات الداخلية والانحرافات الفكرية .

هذا الوضع السائد لا يمكن معالجته إلا بصيانة ديننا الإسلامي ، كلما كنا محتفظين بالدين وتعاليمه كنا آمنين ومطمئنين ، وحصلت لنا العزة والقوة التي نتوخاها من الدين ، هذا ليس تذكيراً عادياً ، بل هو استعراض كامل لتاريخ المسلمين ولتاريخ بني إسرائيل ، ونجد أمثلته في القرآن الكريم ، فلا بد لنا أن نستفيد منها ، ينبغي لنا أن نصلح مجتمعنا ، ونسدِّد أخلاقنا ، وننهج المنهج الذي يذهب بنا إلى الغلبة والعزة ، ويكونٍ للمسلمين فيها كرامة وشرف ، ولا يمكن ذلك إلا إذا عشنا حياةً مرضيةً عند الله تعالى ، وإلا كان مصيرنا ومآلنا كما كان للأمم الماضية .

أيها الحفل الحضور ! إن المرحلة الجديدة لسياسة الهند تختلف تماماً عن المراحل الماضية ، وسيرى قادة الأمة وزعمائها رقياً وانحطاطاً ، وشدةً وضعفاً في الظروف والأوضاع ، فيمكن حلها ومعالجتها بالنظر إليها ، ويمكن أن تحدث هناك صعوبات ومشاكل خاصة ، ففي هذه الأحوال الطارئة لا بد من اتخاذ تدابير سديدة لصيانة المدارس الدينية وتوسعة نطاقها ، وأنتم أيها السادة لمطلعون على الوضع الصحيح ، فإن ندوة العلماء ستواصل مسيرتها في نشر التعليم والدعوة بإذن الله تعالى ، وبتعاون من حضراتكم ، وإن تفاقمت الأوضاع وتأزمت ، والله ينصرنا ويوفقنا لما يحبه ويرضاه ، وتستمر نشاطات ندوة العلماء على نهج أسلافها ، ويكثر نفعها وتتسع دائرة رقيها وازدهارها بإذن الله تعالى .

هذا ما تهدف إليه ندوة العلماء بإيجاز ، أدعوالله أن يكلل جهودنا بالنجاح ، وقد ساعدنا في إنجاز أعمال ندوة العلماء زملاؤنا في العمل فإنهم يستحقون منا الشكر الجزيل ، أدعو الله أن يتقبل منهم ، ويجزيهم جزاءً حسناً ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

العلاقة الفكرية بين الدكتور محمد يوسف موسى والسيد أبي الحسن الندوي

بقلم : فضيلة الشيخ فاروق صالح باسلامة *

إن هذه العلاقة ، أخوياً وفكرياً وأدبياً ، بين الأستاذين بدأت مبكرةً منذ قدم الفكر الإسلامي في مصر الثقة المعرفية والإسلامية للإخوة الأساتذة في ندوة العلماء لكنؤ الهند في السبعينيات من القرن الرابع عشر الهجري ، وأثناء ذلك قدَّم الأستاذ سيد قطب بمقدمة رائعة لكتاب " ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين " للسيد أبي الحسن الندوي ، ثم توالت وتقدمت هذه العلاقة ، وبين حين وآخر تجلو فكرياً تبادل الكلمات في الكتابات والمؤلفات والمجلات والإصدارات الصحفية والإعلامية ، كل يدلو بدلوه ، والاتفاق هو إثراء الفكر الإسلامي الحديث المعاصر ! وتقدم الدعوة الدينية وعقيدتها السليمة والمضي قدماً للحركة الفكرية في الأدب والثقافة والمعرفة ، وهي علاقة معنوية قيمة يسودها مفهوم مبادئ الإسلام وشريعته وفقهه على ضوء آيات القرآن الكريم وحديث الرسول محمد عليه الصلاة وأتم التسليم ، وبذلك اتسمت الفكرية الدينية والشرعية الفقهية والفكر الإسلامي ، بالمفهوم التراثي الأصيل والفهم المدني المعاصر ، حضارياً وتقدمياً وميراثياً ، الشأن المعنوي وما يترتب على ذلك من خدمة الأمة دينياً ودنيوياً ، وأدبياً وثقافياً ، إذ أن الفكرة إنسانية المنزع تأتي تأملاً وتفكيرياً وتعقلاً وحلمياً في الحياة وميادينها العامة ، وتتجلى عند المفكر والباحث عن الحقيقة الحقة في هذه الحياة الدنيا عامةً وخاصةً ، ومن جدَّ وجد ، ومن قدم حصل ، ومن سار على الدرب وصل .

إن الفكر الإسلامي الحديث بحاجة إلى تجلية ومزيد من جهد من

* جدة ، المملكة العربية السعودية .

مفكريه وأهله ، فالوعي الفكري اليوم يحتاج في مجمله إلى ذلك الجهد والمزيد منه ، والمتابعة ثقافياً وأدبياً للنشر العلمي والفكري والصحافي ، كي يتم الوقوف على ناتج ذلك من الأفكار والعلم والمعرفة لما يُنتج ويُؤلف وما تقذفه المطابع للنشر ، من رصد معلوماتي أو معارف معنوية أو وجهات نظر وما إلى ذلك من الآراء والمعاني وأفكار الناس عموماً والمفكرين والمنظرين خصوصاً ، الأمر الذي تشعبت – بعد كل ذلك – العلاقة بين السيد الندوي والدكتور موسى عليهما رحمة الله ، من باب الفكر الديني والدعوي والأدبي الثقافي ، وعلى غرار تقديم سيد قطب لكتاب الأستاذ الندوي ، قدم للدكتور موسى لكتابه ، الندوي ، ككلمة اختارها الدكتور موسى المؤلف لكتابه " الإسلام وحاجة الإنسانية إليه " في طبعته الثانية الصادرة في شهر شوال من عام ١٣٨١هـ – ١٩٦١م ، أما ما قدَّمه السيد الندوي للكتاب فقد كانت بتاريخ ٢١ من شهر ذي الحجة من العام ١٣٧٩ للهجرة النبوية المشرفة ، وهي كلمة على وجازتها فإنها ركزت على أهم ما جاء في كتاب الدكتور موسى عن حاجة الإنسانية لهذا الدين الذي أنقذها الله به من السوء في الحياة الدنيا وفي الآخرة .

وقد أورد المؤلف موسى فصولاً جيدةً ، في الكتاب كعادته ، وإنما لاحظه السيد أبو الحسن الندوي مجيئ علم الكلام وفلسفته في الكتاب ، وهو الأمر الذي لا يرغبه مفكر كالندوي ، ولا حتى بعض المتلقين الذين لا يعجبهم هذا التفلسف الكلامي حتى لو كان المؤلف شخصاً آخر غير الدكتور محمد يوسف موسى ، فأنا أحب موسى وأحب الحق ، ولكن حبي للحق أكبر ! الشيئ الذي يعرفه الباحثون في مثل هذه الأمور ! ومع ذلك شكر الأستاذ أبو الحسن صاحبه موسى نظراً لشروعه في موضوع مهم هو موضوع حاجة البشرية إلى الإسلام في كل عصر ومصر ، كما نوَّه الكاتب الندوي في كلمته عن هذا الكتاب الفكري المهم جداً في الدعوة والفكر والأدب الإسلامي خاصةً في عصر كعصرنا .

ولله في خلقه شؤون .

الأسلوب الفني في أمثال القرآن الكريم

الدكتور عبد الصمد الندوى *

المقدمة :

مما لا ريب فيه أن الكلام القرآنيّ يزخر بتشبيهات رائعة ، وتمثيلات بديعة ، و أمثال جميلة ؛ فإنها لتقود النفس الإنسانية وتسوقها إلى معرفة الذات الإلهية ، والإذعان بتوحيد الربوبية ، والاقتناع بسموّ الدعوة النبوية والرضا بها ، كما أن التمثيل يبرز المعاني في صورة حية تستقر في الأذهان بتشبيه المعقول بالمحسوس وقياس النظير على النظير ، فكم من معنى جميل أكسبه التمثيل روعة وجمالاً ، فكان ذلك أدعى لقبول النفس له ، واقتناع العقل به ، وهو من أساليب القرآن الكريم البديعة في ضروب بيانه ونواحي إعجازه ، فإن أمثال القرآن لها بلاغة خاصة وفصاحة فائقة لا يدركها إلا العارف بأسرار اللغة العربية ، كما قال القرآن الكريم عنها : (وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلاَّ ٱلْعَالِمُونَ) [1] .

تحقيق معنى المثل :

قد استعمل الذكر الحكيم كلاً من لفظي " المَثَل " و" المِثْل " في غير واحد من سوره وآياته حتى ناهز استعمالهما ثمانين مرة ، إلا أنّ الثاني يزيد على الأول بواحد . والأمثال جمع لكليهما ، ويميّزان بالقرائن قال سبحانه : (إن الذينَ تَدْعُونَ منْ دُون الله عبادٌ أَمثالكُمْ) [2] ، وهو في هذا المقام جمع المِثْل لشهَادة أنّه يحكمَ علىَ آلهتهم بأنّها مثلهم في الحاجة والإمكان ، وقال سبحانه : (تلْكَ الأمثال نَضْرِبُها للنّاس لعلّهُمْ يَتفكّرُون) [3] .

فكثيراً ما يقارن لفظ المثل بلفظ الضَربَ ، يقول سبحانه : (ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً) [4] ، وقال سبحانه : (وَلَقَدْ ضَرَبْنا للنّاسِ في هذا القُرآن مِنْ كُلّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرون) [5] .

---

* أستاذ مساعد بكلية الدراسات العربية والإسلامية بجامعة هلال بى ، يس ، عبد الرحمن ، للعلوم والتكنالوجيا ، تشنائ ، الهند .

[1] سورة العنكبوت : ٤٣ .

[2] سورة الأعراف : ١٩٤ .

[3] سورة الحشر : ٢١ .

[4] سورة إبراهيم : ٢٤ .

[5] سورة الزمر : ٢٧ .

وقد اتّفقت أئمة اللغة على أنّه في اللغة بمعنى إيقاع شيئ على شيئ ، ويتعدّى باليد أو بالعصى أو بغيرهما من آلات الضرب ، قال سبحانه : (أَن اضْرِب بعَصاكَ الحَجَر) [1] .

إنّ الضربَ إذَا قرن بالمثل فمعناه التمثيل ، وهو ما رجّحه ابن منظور ، واستشهد بقوله تعالى : (وَٱضْرِبْ لَهُمْ مَّثَلاً أَصْحَابَ ٱلْقَرْيَة إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ) [2] أي مثّل لهم مثلاً وهو حال أصحاب القرية ، وقال : (يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَاطِلَ) أي يمثل اللّه الحقّ والباطل ، حيث ضرب مثلاً للحقّ والباطل والكافر والمؤمن في هذه الآية . ومعنى قوله عزّ وجلّ : وَٱضْرِبْ لَهُمْ مَّثَلاً ، أي اذكر لهم ومثّل لهم . يقال : عندي من هذا الضّرب شيئ كثير أي من هذا المثال . وهذه الأشياء على ضرب واحد أي على مثال . قال ابن عرفة : ضرب الأمثال اعتبار الشّيئ بغيره . وقوله تعالى : وَٱضْرِبْ لَهُمْ مَّثَلاً أَصْحَابَ ٱلْقَرْيَة ، قال أبو إسحاق : معناه اذكر لهم مثلاً . . " [3] .

أروع مثل وأحسن تشبيه :

إنّ النبي صلى اللّه عليه وسلم – في عهد مكة – كان يجادل المشركين ، ويسفّه أحلامهم ، ويدعوهم إلى الإيمان باللّه وحده ، وترك عبادة غيره ، والإيمان باليوم الآخر ، ففي خِضمّ هذا الصراع يأتي القرآن بأروع مثل وأحسن تشبيه ، يشبّه آلهتهم المزعومة التي تمسّكوا بأهدابها ببيت العنكبوت الذي لا يظهر أدنى مقاومة أمام النسيم الهادئ ، وقطرات المطر ، وهبوب الرياح ، فيقول اللّه سبحانه وتعالى : (مَثَلُ الذينَ اتَّخَذُوا منْ دُون اللّه أَولياء كَمَثَلِ العَنْكَبُوت اتّخَذَتْ بَيتاً وإِنَّ أَوهَنَ البُيُوت لَبيتُ العَنْكَبُوت لَو كانُوا يَعْلَمون) [4] .

فمما يجدر بنا – هنا – النظر من خلال هذا المثل القرآني إلى الأسلوب البديع المؤثر الذي اختاره سبحانه وتعالى لبيان حقيقة ما يُعبد من دونه ، مهما كان هذا المعبود إنساً أو جنًّا ، شجراً أو حجراً ، صنماً أو وثناً ، فأيّ نوع كان ، فقد شبّه آلهتهم الباطلة التي اتخذوها حصوناً منيعة لأنفسهم بخيوط العنكبوت ، وبذلك صغّرهم وذلّلهم ؛ كما أنّه سبحانه شبّه آلهتهم في آية أخرى بالذباب ، وقال : (يا أَيُّهَا النّاس ضُرِبَ مَثَلٌ فَاستمعُوا له إِنَّ الذينَ تَدْعُونَ منْ دُون اللّه لَنْ يَخْلُقُوا ذُباباً ، ولَو اجْتَمَعوا لَهُ وإن

---

[1] سورة الأعراف : ١٦٠ .

[2] سورة يس : ١٣ .

[3] لسان العرب : ٥٤٨/١ .

[4] سورة العنكبوت : ٤١ .

يَسْلُبْهُمُ الذُّبابُ شَيئاً لا يَسْتَنْقذُوهُ منْهُ ؛ ضَعُفَ الطّالبُ وَالمَطْلُوب) [1] .

يتبين من هذا المثَل القَرآنيّ المعجز الذي يهدف إلى إيصال الأفكار المجردة بصورة حسية مرئية ، يكون لها من الأثر في النفوس ، والتأثير في العقول ما لا يكون للفكرة المجرّدة من ذلك ، أنه نداء عام ، ونفير بعيد الصدى والمدى ، يتوجه به سبحانه إلى الناس جميعاً يقرّر حقيقة مهمة في هذا الوجود ، لا يستقيم أمره إلا بالإذعان والاستسلام لها ، ولا تكون سعادته إلا بالأخذ بمستلزماتها ، وهي أنه لا معبود ينبغي أن يفرد بالعبادة إلا هو سبحانه فقط . أما ما سواه من الآلهة المزعومة المدعاة ، فهي ليست أكثر من آلهة مزيفة ، لا تملك من أمرها شيئاً ، فضلاً عن أن تملك لغيرها نفعاً أو ضراً .

ثم إن هذا المثل يقرر حقيقةً أخرى أيضاً وهي : أن هذه الآلهة المزيفة ، هي أحقر من أن تقدر على أقل ما خلقه الله ، ولو اجتمعوا لذلك وتعاون بعضهم بعضاً وتعاضدوا ، وتساندوا . وليس أدل من ذلك على عجزهم وانتفاء قدرتهم : أن هذا الخلق الأقل الأذل (الذباب) ، لو اختطف منهم شيئاً ، فاجتمعوا على أن يستنقذوه منه ، لم يقدروا على شيئ من ذلك ، مهما توسلوا من الأسباب والذرائع ، ومهما ملكوا من الوسائل والآلات .

شُبِّه عجز الآلهة المعبودة من غير الله بهيئة ناس تعذر عليهم خلق أضعف المخلوقات ، وهو الذباب ، وإذا عجزت هذه الآلهة المزيفة عن إيجاد أضعف الخلق ، وعن دفع أضعف المخلوقات عنها ، فكيف تُوسم وتوصف بالإلهية ؟ وكيف يُتوجه إليها بالعبودية الخالصة ؟ وهي – في الحقيقة – لا تملك من أمرها شيئاً ، فضلاً عن أن تملك لغيرها نفعاً أو ضراً .

وهذا المثل يعلن على الملأ مدوياً ومجلجلاً ضعفَ الآلهة المدعاة ، التي يتخذها الناس من دون الله أوثاناً ابتغاء مرضاتها ، ومن بينها تلك الآلهة التي يستنصر بها أولئك الظالمون المعتدون ، ويركن إليها أولئك الطاغون المتمردون .

فصاحة هذا المثل القرآنيّ الفنيّ وبلاغته :

ومن بلاغة هذا المثل القرآني ، أنه شبه ضعف هذه الآلهة وهوان أمرها بالذباب ، وهو من أضعف المخلوقات بنية ، ومن أحقرها شأناً ، ومع ذلك فإن خلق الذباب أمرٌ مستحيلٌ ، كخلق الجمل والفيل ؛ لأن

[1] سورة الحج : ٧٣ .

الذباب يحتوي على ذلك السر المعجز (يَعنى به) سر الحياة ، فيستوي في استحالة خلقه مع الجمل والفيل . ولكن الأسلوب القرآني البديع يختار الذباب الصغير الحقير لأن العجز عن خلقه – كما يقول سيد قطب رحمه الله – يلقي في الحس ظل الضعف أكثر مما يلقيه العجز عن خلق الجمل والفيل ! دون أن يخل هذا بالحقيقة في التعبير [1] .

ثم إن الآلهة المدعاة لا تملك استنقاذ شيئ من الذباب حين يسلبها إياه ، سواء كانت أصناماً أو أوثاناً أو أشخاصاً ! وقد اختير الذباب بالذات ، وهو ضعيف حقير ، وهو في الوقت ذاته يحمل أخطر الأمراض ، ويسلب أغلى النفائس : يسلب العيون ، والجوارح ، وقد يسلب الحياة والأرواح ، لما يحمله من جراثيم قاتلة . هذه حقيقة أخرى كذلك يستخدمها الأسلوب القرآني الرائع . ولو قال : وإن تسلبهم السباع شيئاً لا يستنقذوه منها ، لأوحى ذلك بالقوة بدل الضعف ، والسباع لا تسلب شيئاً أعظم مما يسلبه الذباب ! ولكنه الأسلوب القرآني العجيب .

ويختتم المثل القرآني ما قرره من حقائق بتقرير خاتمة الحقائق ، وهي أن ما سوى الخالق سبحانه ضعيف حقير ، لا يملك لنفسه – فضلاً عن غيره – نفعاً ولا ضراً ، لا خلقاً ، ولا حياةً ، ولا بعثاً ولا نشوراً ، (ضعف الطالب والمطلوب) .

والمقصد الأساسيّ الذي يريد أن يثبته هذا المثل القرآني البلاغي ، هو بطلان الشرك بالله ، وتجهيل أهله ، وتقبيح عقولهم ، والشهادة على أن الأمر كله – بداية ونهاية – لله وإليه وحده ، وأن جميع المخلوقين لا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً ، وبالتالي فلا ينبغي للعاقل أن يعتمد على أحد سوى الله وحده ، فهو المقدِّم والمؤخر ، والمبدئ والمعيد ، والمحيي والمميت (أَلاَ لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَالَمِينَ) [2] . فقد كانت قريش تعبد (٣٦٠) ثلاث مأة وستين إلهاً يطلونها بالزعفران فيجفّ ، فيأتي الذباب فيختلسه فلا يقدرون على الدفاع عن أنفسهم ، ففي هذا الصدد قال سبحانه : ضعف الطالب والمطلوب (أي الذباب والمدعوّ) .

فأي مثل أقرع من تشبيه آلهتهم بهذه الحشرة الحقيرة . ولقد مضى على الناس منذ ضرب لهم كتاب الإسلام هذا المثل أربعة عشر قرناً ، ولا يزال المثل القرآني يتحدّى كل جبروت الغزاة وعبقرية العلماء ، وما يزال على الذين غرّهم الغرور بما حقّق إنسان العصر الحديث من معجزات

---

[1] يراجع للتفصيل إلى تفسيره " في ظلال القرآن " : ٤/٢٤٤٤ .

[2] سورة الأعراف : ٥٤ .

العلم ، أن ينسخوا ذلك بأن يجتمعوا فيخلقوا ذباباً ، أو يستنقذوا شيئاً سلبتهم إيّاه هذه الحشرة الضئيلة التي تقتلها ذرّة من هواء مشبع بمُبيد الحشرات ، وتستطيع مع ذلك أن تسلب مخترع المبيد حياته ، بلمسة هيّنة خاطفة تحمل إليه جرثومة داء مميت [1] .

قال ابن القيِّم رحمه الله : " وهذا المثل من أبلغ ما أنزله الله سبحانه في بطلان الشِّرك ، وتجهيل أهله ، وتقبيح عقولهم ، والشهادة على أنَّ الشيطان قد تلاعب بهم أعظم من تلاعب الصبيان بالكرة " [2] .

هذا في مجال الردِّ على عبادتهم للأوثان والأصنام ، أمّا في مجال ركونهم وميلهم إلى الدنيا والإعراض عن الآخرة ، يستعرض مثلاً يوحي فيه إلى أنّ الدنيا ظل زائل ومتاع قليل فان ، قال سبحانه : (إِنَّما مَثَلُ الحَياةِ الدُّنيا كماء أَنْزَلْناهُ مِنَ السَّماء فاخْتَلَطَ به نَباتُ الأَرض ممّا يَأْكُلُ النّاسُ وَالأَنْعامُ حَتّى إذا أَخَذَت الأَرْض زُخْرُفَها ، وَازَّيّنَتْ ، وَظَنّ أَهْلُها أَنَّهُمْ قادِرُونَ عليها أَتاها أَمْرُنا لَيلاً أو نَهاراً فَجَعَلْناها حَصيداً كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بالأَمْس ، كَذلكَ نُفَصّلُ الآيات لقَوم يَتَفكَّرُون) [3] .

سبحان الله ! ما أحسنَ هذا التمثيل ! وما أروع هَذا التشبيه ! إن هذا إلا تنزيل من حكيم حميد .

نظرة عابرة إلى الأمثال المدنية الفنية :

وأمّا الأمثال التي نزلت في المدينة المنورة ، فقد يتجلى فيها الطابع المدني لأجل أنّها بصدد علاج الأدواء التي ابتلي بها المجتمع يومذاك وهي الأدواء الخلقية مكان الشرك والوثنية ، أو مكان إنكار الحياة الأخروية ، فلذلك ارتكز الوحي على معالجة هذا النوع من الأمراض بالتمثيلات البارزة والتشبيهات البليغة . فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة المنورة ابتلي بالمنافقين الذين كانوا يسرّون الكفر ، ويعلنون الإسلام لنيل الغرض الدنيوي من الحكومة الإسلامية الحديثة ، وفي هذا الصدد نرى أنّ الأمثال المدنية تطرّقت في آيات كثيرة من القرآن الحكيم إلى المنافقين ، وبيّنت خطورة موقفهم وعقيدتهم ضدّ الإسلام والمسلمين ، فتارة يضرب الله سبحانه لهم مثلاً بالنار وأخرى بالمطر ، يقول سبحانه : (مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الذي استوقَدَ ناراً فَلَمّا أَضاءَتْ ما حَوْلَهُ ذَهَبَ اللّهُ بنُورهمْ وَتَرَكَهُمْ في ظُلمات لا يُبْصرُونَ . صُمّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَرْجعُون . أَوْ كَصَيّبٍ مِنَ السَّماء فيه ظُلُماتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ

---

[1] الصورة الفنية في المثل القرآني : ٩٩ ، نقلاً عن كتاب " القرآن وقضايا الإنسان " لبنت الشاطئ .

[2] إعلام الموقعين عن ربِّ العالمين ، لابن القيم ١/١٣٩ .

[3] سورة يونس : ٢٤ .

يَجْعَلُونَ أَصابعَهُمْ فِي آذانهمْ منَ الصَّواعقِ حَذَرَ المَوت وَاللهُ مُحيطٌ بالكافرين) [1] .

كَان يسكَنَ في المدينة المنورة ثلاث طوائف مَن اليهود ، وهم : بنو قينُقاع ، وبنو النضير ، وبنو قُريظة ؛ وقد جبلوا على المكر والغدر ، وكانوا يقرأون سمات النبي صلى الله عليه وسلم في كتابهم " التوراة " ، ويمرّون عليها كالأمي الذي لا يحسن القراءة والكتابة ، وهذه السمة البارزة أدت إلى أن يشبّههم عزّ وجلّ بالحمار الذي يحمل أسفاراً قيّمة دون أن يستفيد منها شيئاً ، يقول سبحانه : (مَثَل الذينَ حُمّلُوا التَّوراةَ ثُمَّ لَمْ يَحْملوها كَمَثَل الحمار يَحْمل أَسْفاراً بِئْسَ مَثَل القَوم الذَينَ كَذَّبُوا بآيات الله وَاللهُ لا يَهْدي القَومَ الظَالمينَ) [2] .

وأمّا المسلمون الذين عاصروا النبي صلى الله عليه وسلم فكانوا بأمسّ حاجة إلى هداية إلهية ، وتربية ربّانية تزكي أنفسهم ، وتصلح أخلاقهم ، فقد كان البعض منهم ينفقون أموالهم رياءً دون ابتغاء مرضاة الله ، أو ينفقونها بالمنّ والأذى ، فنزل الوحي الإلهي بمثل خاص يبيّن موقف المنفق في سبيل الله ، والمنفق بالمنّ والأذى أو رئاء الناس ، قال سبحانه : (مَثَل الذينَ يُنْفقونَ أَمْوالهمْ في سَبيل الله كَمَثَل حَبَّة أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنابلَ في كُلِّ سُنْبُلَة مائةُ حَبّة وَاللهُ يُضَاعفُ لمَنْ يَشاءُ وَاللهُ واسعٌ عليمَ) [3] .

وقال سبحانه : (يَا أَيُّهَا الذينَ آمَنُوا لاتُبْطلُوا صَدقاتكُمْ بالمَنّ وَالأذى كَالذي يُنْفقُ ماله رئاءَ النّاس وَلا يُؤمنُ بالله وَاليوم الآخر فَمَثَلُهُ كَمَثَل صَفوانَ عليه تُرابٌ فَأَصابَهُ وابلٌ فَتَركَهُ صَلْداً لا يَقدرُونَ على شَيء ممّا كَسَبوا وَاللهُ لا يَهْدي القومَ الكافرين) [4] .

هذا إلمام خاطفٌ لملامحَ الأمثال القرآنية والتشبيهات الإلهية التي نزلت قبل الهجرة وبعدها ، وسيوفّر البحث تلك الأمثال الرائعة الجميلة عند تفسير بعض من الآيات عن هذا الصدد .

الخاتمة في فوائد الأمثال القرآنية الرائعة :

وقد ظهر من خلال دراسة الأمثال الفنية للقرآن الكريم فوائد عظيمة وثمرات بديعة يجنيها متدبرها والممعن في دلالاتها المعنوية حيث تأتي الأمثال مراعيةً لاتجاهات عديدة حسب الاتجاه الذي سيقت لأجله فإن المثل يؤثر تأثيراً بليغاً أكثر من الكلام المجرد لأنه يقرب الصورة ، ويلفت التوجه والانتباه ، ويرفع الحجاب عن القلوب الغافلة ، ويؤلف

---

[1] سورة البقرة : ١٧ – ١٩ .
[2] سورة الجمعة : ٥ .
[3] سورة البقرة : ٢٦١ .
[4] سورة البقرة : ٢٦٤ .

المطلوب ويقربه . ويقرّب المعنى إلى الذهن ، وتبرهن به الحجة ، ويزول به اللبس ، وترتفع به الغشاوة عن القلوب ، فينتفع به أهل العلم ، وتقوم به الحجة على الذين لا يعقلون ولا يعلمون .

ومن هنا يقول الإمام عبد القاهر الجرجاني إمام البلاغة والإعجاز– رحمه الله – : " إعلم أنّ مما اتّفق العقلاء عليه أنّ التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني ، أو أُبرزت هي باختصار في معرضه ، ونُقلت عن صورها الأصلية إلى صورته كساها أبّهة ، وكسبها منقبة ، ورفع من أقدارها ، وشبّ من نارها ، وضاعف قواها في تحريك النفوس لها ، ودعا القلوب إليها ، واستثار من أقاصي الأفئدة صبابة وكلفاً ، وقسر الطباع على أن تعطيها محبة وشغفاً . فإن كان ذمّاً : كان مسه أوجع ، وميسمه ألذع ، ووقعه أشدّ ، وحدّه أحد . وإن كان حجاجاً : كان برهانه أنور ، وسلطانه أقهر ، وبيانه أبهر . وإن كان افتخاراً : كان شأوه أمدّ ، وشرفه أجد ولسانه ألد . وإن كان اعتذاراً : كان إلى القبول أقرب ، وللقلوب أخلب ، وللسخائم أسلّ ، ولغَرْب الغضب أفلّ ، وفي عُقد العقود أنفث ، وحسن الرجوع أبعث . وإن كان وعظاً : كان أشفى للصدر ، وأدعى إلى الفكر ، وأبلغ في التنبيه والزجر ، وأجدر أن يجلي الغباية ويُبصّر الغاية ، ويبري العليل ، ويشفي الغليل "[1] .

والفائدة القصوى من الأمثال القرآنية التي ذكرها الله تعالى في قوله : (وَتِلْكَ الأمثال نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إلا العالِمُونَ)[2] ، في الآية دلالة على أن الأمثالَ شواهد للمعنَى المرادِ وهيَ خاصية العقل ولبّه وثمرته ، فمن أدركها وعقلها يُعتدّ من العلماء الربانيين والأتقياء الأصفياء كما ذكر ابن كثير عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال : " عَقَلْتُ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ألف مثل "[3] . وقال الهيثمي : إسناده حسن[4] .

ثم علق رحمه الله على هذه الرواية : وهذه منقبة عظيمة لعمرو بن العاص رضي الله عنه حيث يقول الله تعالى : (وَتِلْكَ الأمثال نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إلا العالِمُونَ) .

وصلى الله تعالى وسلم على خير خلقه محمدٍ وعلى آله وأصحابه أجمعين ، والحمد لله رب العالمين .

---

[1] أسرار البلاغة ، ص ١١٦ .

[2] سورة العنكبوت : ٤٣ .

[3] المسند لأحمد : ٤/٢٠٣ .

[4] مجمع الزوائد للهيثمي : ٨/٢٦٤ .

سفر النساء للحج دون محارم

(الحلقة الأولى)

أ . د . المفتي محمد مصطفى عبد القدوس الندوي *

ومما يمتاز الإنسان ويفوق على غيره من الخلائق : النزاهة والطهارة وعفة النفس ، ولتحقيقه شُرِع النكاح ، وأُمر الناس بالابتعاد عن مواضع الفتن ، ونُهوا عن الاقتراب بها واتخاذ الدواعي والوسائل التي توصلهم إليها ؛ فتُلقيهم في التهلكة ، وتُجرّدهم من لباس التقوى وجوهر العفاف . وهذا الحكم الشرعي يكلف به الذكر والأنثى جميعًا على التساوي ، إلا أن الأنثى ضعفة خلقة ، وعبارة عن الستر والحجاب ، حتى قال النَّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " المَرْأَةُ عَوْرَةٌ " . (أخرجه الترمذي في الرضاع ، باب ، برقم : ١١٧٣ ، وقال : " هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ " ، وابن خزيمة في صحيحه ، برقم : ١٦٨٥ ، وابن حبان في صحيحه ، برقم : ٥٥٩٨) . واهتم الإسلام بالحفاظ عليها أكثر وأمرها بالمكث في البيت ومنعها من الخروج منه إلا عند الحاجة ؛ فقال تعالى : (وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى) [الأحزاب : ٣٤] .

ومن تدابير ووسائل الحفاظ عَلَيها ، ومن طرق الرفق بالقوارير أن لا تسافر إلا أن يكون معها زوجها أو محرم من محارمها ، هذا في جانب من جهة الشرع الإسلامي ، وفي جانب آخر أن ذلك الزمان وفّر تسهيلات متنوعة في مجالات الحياة الإنسانية حتى سهّل السفر وأطوى بعده ، وجعل المسافة البعيدة أن يقطعها الإنسان في أقل وقت في عدة ساعات ، فتخففت مشقة السفر وتقللت الفتن ، وأمكن أن يودّعها امرأةٌ محرمٌ لها في الطائرة بحيدرآباد مثلاً ، ويستقبلها زوج أو محرم آخر في جدة بلا خوف وخطر . وفي تلك الخلفية والأوضاع الراهنة قد حدثت قضايا معاصرة عديدة حول سفر المرأة للحج ، تحتاج إلى تقديم حلول شرعي ، والتفكر والتأمل من جديد في ضوء القرآن والحديث والفقه الإسلامي وأصوله ، وهي :

* عميد كلية البحث والتحقيق والإفتاء بجامعة العلوم غرها – غجرات .

١ – شرط المحرم في سفر المرأة في ضوء الكتاب والسنة :

قد علمنا أنه لابدّ أن يكون مع النساء محرم في السفر ، إلا أنه ينشأ هناك سؤال ، ما هو المراد منه ؟ هل المراد من السفر مسافته الشرعية المحددة لقصر الصلاة ، أو مطلق السفر أو هو مقيد بأيّام معيّنة ؟

ينبغي لنا قبل أن نخوض في الجواب والتعيين في المراد من السفر ، أن نجمع الروايات الواردة في ممانعة السفر للنساء بغير محرم ؛ فتنقسم الروايات كلها إلى أربعة أقسام :

الأول : أن لا تسافر المرأة مطلقاً إلا إذا كان معها زوجها أو محرم من محارمها ، بدون أيّ قيد مسافة أو يوم وليلة ، كما يدل عليه قوله تعالى : (وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى) [الأحزاب : ٣٤] . ومن الأحاديث :

عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ : قال رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم : " أَلا لا يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إلا كَانَ ثَالِثَهُمَا الشَّيْطَانُ " . (أخرجه الترمذي في الفتن ، بَابُ مَا جَاءَ فِي لُزُومِ الجَمَاعَةِ ، برقم : ٢١٦٥ ، وقال : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الوَجْهِ ، وابن حبان في صحيحه ، ذِكْرُ الزَّجْرِ أَنْ يَخْلُوَ المَرْءُ بِامْرَأَةٍ أَجْنَبِيَّةٍ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ بِمُغِيبَةٍ ، برقم : ٥٥٨٦ ، والحاكم في المستدرك ، برقم : ٣٨٧ ، وقال : هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ) .

وعن أبي معبد ، قال : سمعت ابن عباس ، يقول : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يخطب يقول : " لا يخلون رجل بامرأة إلا ومعها ذو محرم ، ولا تسافر المرأة إلا مع ذي محرم " فقام رجل ، فقال : يا رسول الله ، امرأتي خرجت حاجّة ، واكتتبتُ في غزوة كذا وكذا ، قال : " ارجع فحُج مع امرأتك " . (أخرجه البخاري في الجهاد والسير ، باب من اكتتب في جيش فخرجت امرأته حاجَّة ، أو كان له عذر ، هل يؤذن له ، برقم : ٣٠٠٦ ، ومسلم ، باب سفر المرأة مع محرم إلى حج وغيره ، برقم : ٤٢٤ – ١٣٤١ ، وللفظ لمسلم) .

وجه الاستدلال أن الله تعالى يُحبّ أن تكون المرأة محصورةً في البيت ، لا تخرج عنه إلا عند الحاجة ؛ بل جعل الشرع الإسلامي خروجها ذريعةً للفتنة ؛ فقال النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : " المَرْأَةُ عَوْرَةٌ ، فَإِذَا خَرَجَتْ اسْتَشْرَفَهَا الشَّيْطَانُ " . (أخرجه الترمذي في الرضاع ، باب ، برقم :

١١٧٣ ، وقال : " هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ " ، وابن خزيمة في صحيحه ، برقم : ١٦٨٥) . وزاد ابن حبان في صحيحه ، (رقم : ٥٥٩٨) : " وَأَقْرَبُ مَا تَكُونُ مِنْ رَبِّهَا إِذَا هِيَ فِي قَعْرِ بَيْتِهَا " . ولأجل ذلك لم يفرض عليها الأعمال التي تحتاج إلى الخروج من البيوت لتحقيقها من الجهاد ونفقة الزوج والأولاد ، ولم يوجب عليها صلاة الجمعة والعيدين وجماعة الصلوات الخمس المفروضة ، ولم يجعل انعقادها مسنونة في حق النساء بل جعل أفضل الصلوات فرادى ، ثم جعل خيرها مهما كانت أخفى وأستر ؛ فقال عليه الصلاة والسلام : " صَلاةُ الْمَرْأَةِ فِي بَيْتِهَا أَفْضَلُ مِنْ صَلاتِهَا فِي حُجْرَتِهَا ، وَصَلاتُهَا فِي مَخْدَعِهَا أَفْضَلُ مِنْ صَلاتِهَا فِي بَيْتِهَا " . (أخرجه أبو داود ، بَابُ التَّشْدِيدِ فِي ذَلِك ، برقم : ٥٧٠ ، وابن خزيمة في صحيحه ، بَابُ اخْتِيَارِ صَلاةِ الْمَرْأَةِ فِي مَخْدَعِهَا عَلَى صَلاتِهَا فِي بَيْتِهَا ، برقم : ١٦٩٠ ، وابن حبان في صحيحه ، ذِكْرُ الْبَيَانِ بِأَنَّ صَلاةَ الْمَرْأَةِ كُلَّمَا كَانَتْ أَسْتَرَ كَانَ أَعْظَمَ لأَجْرِهَا ، برقم : ٢٢١٧ ، والحاكم في المستدرك ، وَمِنْ كِتَابِ الإِمَامَةِ ، وَصَلاةِ الْجَمَاعَةِ ، برقم : ٧٥٧) . ورُوي عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " إِنَّ أَحَبَّ صَلاةٍ تُصَلِّيهَا الْمَرْأَةُ إِلَى اللَّهِ فِي أَشَدِّ مَكَانٍ فِي بَيْتِهَا ظُلْمَةً " . (أخرجه ابن خزيمة في صحيحه ، بَابُ اخْتِيَارِ صَلاةِ الْمَرْأَةِ فِي مَخْدَعِهَا عَلَى صَلاتِهَا فِي بَيْتِهَا ، برقم : ١٦٩١) .

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سُوَيْدٍ الأَنْصَارِيِّ ، عَنْ عَمَّتِهِ ، امْرَأَةِ أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ أَنَّهَا جَاءَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، إِنِّي أُحِبُّ الصَّلاةَ مَعَكَ ، فَقَالَ : " قَدْ عَلِمْتُ أَنَّكِ تُحِبِّينَ الصَّلاةَ مَعِي ، وَصَلاتُكِ فِي بَيْتِكِ خَيْرٌ مِنْ صَلاتِكِ فِي حُجْرَتِكِ ، وَصَلاتُكِ فِي حُجْرَتِكِ خَيْرٌ مِنْ صَلاتِكِ فِي دَارِكِ ، وَصَلاتُكِ فِي دَارِكِ خَيْرٌ مِنْ صَلاتِكِ فِي مَسْجِدِ قَوْمِكِ ، وَصَلاتُكِ فِي مَسْجِدِ قَوْمِكِ خَيْرٌ مِنْ صَلاتِكِ فِي مَسْجِدِي " ، فَأَمَرَتْ ، فَبُنِيَ لَهَا مَسْجِدٌ فِي أَقْصَى شَيْءٍ مِنْ بَيْتِهَا وَأَظْلَمِهِ ، فَكَانَتْ تُصَلِّي فِيهِ حَتَّى لَقِيَتِ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ . (أخرجه ابن خزيمة في صحيحه ، بَابُ اخْتِيَارِ صَلاةِ الْمَرْأَةِ فِي مَخْدَعِهَا عَلَى صَلاتِهَا فِي بَيْتِهَا ، برقم : ١٦٨٩ ، وابن حبان في صحيحه ، برقم : ٢٢١٧ ، وأحمد في مسنده ، برقم : ٢٧٠٩٠) .

والثاني : أن الأحاديث المانعة وردت مقيّدة بمسيرة يوم وليل ؛ فهذا

أَبو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه يقول : قال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " لا يَحِلُّ لامْرَأَةٍ تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أَنْ تُسَافِرَ مَسِيرَةَ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ لَيْسَ مَعَهَا حُرْمَةٌ " . (أخرجه البخاري ، باب : في كم يقصر الصلاة ، ١٠٨٨) .

والثالث : أن الأحاديث المانعة وردت مقيّدة بمسيرة ثلاثة أيام ولياليٍ ، فمنها ما رُوِي عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " لا تُسَافِرِ الْمَرْأَةُ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ إِلا مَعَ ذِي مَحْرَمٍ " (أخرجه البخاري ، باب : في كم يقصر الصلاة ، برقم : ١٠٨٦ ، ومسلم عن أبي سعيد الخدري ، باب سفر المرأة مع محرم إلى حج وغيره ، برقم : ٤١٧ – ٨٢٧) .

وعن أبي سعيد الخدري ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر سفراً يكون ثلاثة أيام فصاعداً إلا ومعها أبوها ، أو أخوها ، أو زوجها ، أو ابنها ، أو ذو محرم منها " . (أخرجه الترمذي في الرضاع ، باب ما جاء في كراهية أن تسافر المرأة وحدها ، برقم : ١١٦٩ ، وقال : هذا حديث حسن صحيح ، وابن حبان في صحيحه ، برقم : ٢٧١٨ ، ٢٧٣٣) .

والرابع : هو المقيد بمسافة معيّنة : كما هو مرويّ عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " لا يحل لامرأة ، تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر بريداً " . (أخرجه أبو داود ، باب في المرأة تحج بغير محرم ، برقم : ١٧٢٥ ، وابن خزيمة في صحيحه ، بَابُ الزَّجْرِ عَنْ سَفَرِ الْمَرْأَةِ بَرِيداً مَعَ غَيْرِ ذِي مَحْرَمٍ ، برقم : ٢٥٢٦ ، وقال المحقق الأعظمي : إسناده صحيح ، ابن حبان في صحيحه ، برقم : ٢٧٢٧ ، والبزار في مسنده ، برقم : ٨٥٢٠ ، والْبَرِيدُ : اثْنَا عَشَرَ مِيلاً بِالْهَاشِمِيِّ (صحيح ابن خزيمة ، رقم : ٢٥٢٦) .

٢ – مبنى حكم شرط المحرم في سفر المرأة :

واتضح مما سبق أن الروايات ليست متفقةً في تعيين المسافة وعدد الأيام والليالي ، ثم المستزاد عليه منها ما يدل على منع خروج النساء بغير محرم مطلقاً ، كما يدل عليه قوله تعالى (وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى) [الأحزاب : ٣٤] أيضاً ، كما سبق مفصلاً ، ويتقاضاه مقصَدَ الشريعة الإسلامية المطهرة أيضاً ؛ بما سمّت المرأة عورة ، ومعنى العورة أن تكون مستورة عن أعين الناس مهما كان في وسعها ،

ومحصورةً في البيت مهما أمكن ، كما تقدم ؛ فيمكن أن يقال في ضوء ما سبق : إن الأصل في سفر المرأة أن يكون معها زوجها أو محرم من محارمها ، سواء كان سفرها ليوم وليلة ، أو ليومين وليلتين ، أو ثلاثة أيام ولياليَ ، أو أقل من يوم وليلة ، أو أكثر من ثلاثة أيام ولياليَ ؛ لأنه إذا كان سفرها ثلاثة أيام ولياليَ ممنوعاً بدون محرم ، وإذا كان سفرها أكثر منها فيكون ممنوعاً بالدرجة الأولى بغير محرم ، وقد نص عليه في رواية أخرى ، وهي عن أبي سعيد الخدري ، أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال : " لا تسافر امرأة فوق ثلاث ليال إلا مع ذي محرم " أخرجه مسلم في الحج ، باب سفر المرأة مع محرم إلى حج وغيره ، برقم : ٤١٨ – ٨٢٧) .

وأما إذا كان سفرها أقل من يوم وليلة ؛ فيدل على منع سفرها بغير زوج أو محرم قول الله تعالى : (وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى) [الأحزاب : ٣٤] ، وإطلاق الأحاديث الخالية من تقييد مسافة ويوم وليلة ، وحديث ما جاء فيه أن امرأة إذا خرجت منفردة بغير محرم ، استشرفها الشيطان ويصطادها ، ثم يفعل بها ماشاء ويستخدمها كيفما شاء ، وحديث تحريم الخلوة بالأجنبية .

ثم يتقاضى مقصد الشريعة الإسلامية المطهرة أن لا تخرج أولاً ، وإن أرادت أن تخرج عند الحاجة فلا بد أن تكون معها زوجها أو محرمٍ من محارمها ؛ لأن الشارع جعل المرأة عورة ، وخروجها يخالف كونها عورة .

والمراد من السفر الممنوع المنهي عنه في النصوص الشرعية في الحقيقة : السفر الذي تخشى فيه المرأة الفتنة على نفسها ، طويلاً كان أو قصيراً ، أو أكثر من يوم وليلة أو أقل منه . ويمكن أن يحمل اختلاف المسافة الوارد في النصوص الشرعية على اختلاف الظروف والأحوال يخشى فيها الفتنة ويغلب الظن فيها الفتنة . والدور الحاضر الذي نعيش فيه ونتنفس ونمر به ، لا يخفى على أرباب العقول والأبصار ، هي أسوأ وأشر الأدوار ، وتتزايد الشرور والفتن يوماً بعد يوم بشتى أشكالها وأنواعها ، وباب الفتنة مفتوح على مصراعيه على الدوام ، وتهدّدها وتحذّرها وتفزعها كل وقت وآن ، وما زالت على خطر إن خرجت بغير محرم أو زوج إلى أن تعود إلى بيتها ، فالخير كل الخير في عدم سفر المرأة بدون محرم ولو كان أقل مدة من يوم وليلة ، حتى المشي إلى السوق أيضاً .

وخلاصة القول أن سفر المرأة بغير محرم لم يتقيد بيوم وليلة ولا أقل من ذلك ولا أكثر ، ولا بزمان ولا بمسافة سفر شرعي ؛ فلا يجوز شرعاً أن تخرج خارج البيت إلا عند الحاجة ويكون معها زوج أو محرم ، خاصة لا تسافر سفراً يصدق عليه اسم السفر عرفاً ، سواءً كان طويلاً أو قصيراً ؛ بما أسلفنا . ولأنه تعرض للأخطار ودعوة إلى فتنة إلى نفسها ، ومن المعلوم أن الفتنة تحدث فجأة .

وأما خروجها من بيت إلى بيت أو من محلة إلى محلة قريبة فيجوز أن تخرج فرادى بغير محرم إذا كان الطريق مأموناً وتأمن على نفسها (بدائع الصنائع : ٣٠١/٢) .

٣ - سفر المرأة لحج التطوع دون محرم :

اتفق عامة أهل العلم على أن المرأة لا يجوز لها ولا يحل شرعاً أن تخرج من بيتها إلى حج نفل أو عمرة أو إلى سفر آخر مباح إلا مع زوج أو محرم ، وبه قال أبو حنيفة ومالك والشافعي وأحمد وأهل الظاهر (راجع : بدائع الصنائع : ١٢٣/٢ ، والذخيرة : ١٨٠/٣ ، والبيان : ٤٥/٤ ، وحاشية الدسوقي : ٩/٢ ، ط : دار الفكر ، رد المحتار : ١٤٦/١ ، ط : دار إحياء التراث العربي ، ونهاية المحتاج : ٢٥٠/٣ ، ط : مصطفى الحلبي ١٩٦٧م ، وكشاف القناع : ٣٩٤/٢ ، ط : عالم الكتب ١٩٨٣م ، وفتح الباري : ٩١/٤ ، ونيل الأوطار : ١٦/٥) ، وهو المذهب الصحيح المنصوص عند الشافعية . (المجموع للنووي : ١٤٧/٨ ، ٣٢٦/٩) .

ثم الحنفية أباحوا سفر المرأة بما دون ثلاثة أيام ولياليها بلا محرم ، وهم يقولون : ما دون ثلاثة أيام ليس بسفر ؛ فلا يشترط فيه المحرم ، كما لا يشترط للخروج من محلة إلى محلة . وعلى هذا : إذا كانت المسافة بين المرأة وبين مكة ثلاثة أيام فصاعداً فلا يجوز لها الخروج لحج التطوع بغير زوج أو محرم ، وإن كانت أقل من ذلك جاز لها الخروج لحج التطوع بغير زوج أو محرم (بدائع الصنائع : ٣٠١/٢ ، شرح مختصر الطحاوي للجصاص ، باب صلاة المسافر : ٩٠/٢) .

وأما المالكية فقد أباحوا سفر المرأة مع غير ذي محرم إذا كانت مسافة السفر أقل من يوم وليلة (البيان التحصيل لابن رشد المالكي القرطبي : ٢٢٨/١٨ ، مواهب الجليل في مختصر شرح مختصر خليل : ٥٢٥/٢) . وعلى هذا : جاز لها السفر لحج التطوع إذا كانت المسافة بينها

وبين مكة أقل من يوم وليلة ، إلا أن أبا عمرو بن عبد البر قال : والصحيح أن لا تسافر مع غير المحرم (مواهب الجليل شرح مختصر خليل : ٥٢٥/٢) .

والراجح أن المرأة لا يجوز لها الخروج شرعاً إلى حج التطوع إذا لم يكن معها زوج أو محرم من محارمها ، وإن قلت مدة السفر من يوم وليلة أو كثرت عملاً بمذهب الشافعية وبه قال غير واحد من العلماء كما سبق ؛ وذلك نظراً إلى الأدلة النقلية السالفة والأوضاع الراهنة السائرة السيئة الفاشي فيها الفساد ، وباب الفتنة مفتوح على مصراعيه كل آن ووقت ، ومن المعلوم أن الفتنة لا يُعلم أوان حدوثها ، ثم ربما تحتاج المرأة إلى المعاونة خلال أعمال الحج ، خاصة إذا مرضت ، كما لا يخفى على أولي الألباب والأبصار .

٤ – شرط المحرم في سفر المرأة لحج الفرض :

فيه قولان :

الأول : وهو اتفاق أكثر أهل العلم على كون المحرم أو الزوج شرطاً لوجوب الحج ولزومه على المرأة ، وبه يقول أبو حنيفة وأصحابه (تحفة الفقهاء : ٣٨٧/١ ، فتح القدير : ٤١٩/٣ – ٤٢٠ ، البناية : ١٦/٤ ، فتاوى سراجيه ، ص : ٣٢) وهو المذهب الصحيح عند الحنفية (" والصحيح أنه شرط الوجوب " (بدائع الصنائع : ٣٠١/٢) ، وصححه السروجي (البحر الرائق ومنحة الخالق : ٥٥٣/٢) سواءً كانت شابة أو عجوزاً ؛ لأن الحديث في شرط المحرم للوجوب – كما يأتي – لا يفصل بين الشابة والعجوز (المتلقط في الفتاوى للسمرقندي ، ص : ٩٩ ، بدائع الصنائع : ٣٠٠/٢) . وعن أحمد قولان : الأول أن المحرم من شرائط لزوم السعي دون الوجوب ، والثاني أنه من شرائط لزوم الأداء . والمذهب عند الحنابلة كما في الشرح الكبير : " يشترط لوجوب الحج على المرأة وجود محرمها ، وهو زوجها أو من تحرم عليه على التأبيد بنسب أو سبب مباح إذا كان بالغاً عاقلاً " . (الشرح الكبير مع المغني : ٢٠٠/٣ ، راجع أيضاً : الإنصاف : ٤١٠/٣ ، والمغني : ٣٠/٥) ، واختاره ابن المنذر من الشافعية (الإقناع : ٢٠٢/١) . وقال محي الدين الطبري : " وافق أبو حنيفة في اشتراط المحرم أو الزوج أصحاب الحديث ، وهو قول النخعي ، والحسن البصري ، وسفيان الثوري ، وأبي ثور ، وابن حنبل ، واسحاق بن راهويه ، وأحد قولي الشافعي " . (البناية : ١٤٩/٤ ، ط : نعيميه ، ديوبند) .

والثاني : أنه لا يشترط وجود الزوج أو المحرم في حق المرأة لسفر الحج المفروض ، وهو قول مالك (الموطأ : ٤٢٥/١ ، المنتقى : ٨٣/٣ ، المجموع : ٢٤٣/٨) ، والمشهور عند الشافعية اشتراط الزوج أو المحرم أو النسوة الثقات ، ومعنى ذلك أن المحرم لا يشترط على التعيين ، وهو الأصح عندهم . (فتح الباري : ٩٠/٤ ، المجموع : ١٤٦/٨) .

الملاحظة : والصبية التي بلغت حد الشهوة بمنزلة البالغة حتى لا يسافر بها من غير محرم ؛ لأنه يطمع فيها ، ولا يؤمن من وقوع الفساد عليها . (الهداية والبناية : ١٥٤/٤ ، نعيميه ديوبند) .

١. ٤ – المراد من المحرم :

المراد من المحرم : زوج المرأة ومن لا تحل مناكحتها على التأبيد بنسب أو رضاع ، أو سبب كالمصاهرة ؛ فإنها تشبه التحريم بالنسب ، مثل : أب ، وابن ، وأخ ، وعم ، وأب الزوج ونحوهم ممن لا تحل له . (الملتقط في الفتاوى الحنفية للسمرقندي ، ص : ٩٩ ، والفتاوى السراجية ، ص : ٣٢٠ ، والمغني لابن قدامة : ١٩٤/٣ ، دار الفكر ، الشرح الكبير مع المغني : ١٠٤/٣) ، كما أشير إلى ذلك في حديث أبي سعيد الخدري مرفوعاً : " . . إلا ومعها أبوها ، أو ابنها ، أو زوجها ، أو أخوها ، أو ذو محرم منها " . (أخرجه مسلم في الحج ، باب سفر المرأة مع محرم إلى حج وغيره ، برقم : ٤٢٣ – ١٣٤٠) ؛ لأن الحرمة المؤبدة تُزيل التهمة في الخلوة ، ولهذا قالوا : إن المحرم إذا لم يكن مأموناً عليها لم يجز لها أن تسافر معه . ثم سواءٌ كان حراً أو عبداً ؛ لأن الرق لا ينافي المحرمية ، سواءً كان مسلماً أو ذمياً ، أو مشركاً ؛ لأن الذمي والمشرك يحفظان محارمهما ، إلا المجوس ؛ لأنه يعتقد إباحة نكاحها ؛ فلا تسافر معه ؛ لأنه لا يؤمن عليها كالأجنبي (بدائع الصنائع : ٣٠٠/٢ ، ط : دار الكتاب ديوبند) .

هذا عند الحنفية ، وافقهم الحنابلة في المجوس وخالفوهم في الذمي ؛ فقال ابن قدامة : " وَكَذَلِكَ الْكَافِرُ لَيْسَ بِمَحْرَمٍ لِقَرَابَتِهِ الْمُسْلِمَةَ . قَالَ أَحْمَدُ فِي يَهُودِيٍّ أَوْ نَصْرَانِيٍّ أَسْلَمَتْ بِنْتُهُ : لا يُسَافِرْ بِهَا ، لَيْسَ هُوَ مَحْرَمًا لَهَا " . (المغني لابن قدامة : ١٩٤/٣ ، دار الفكر) . وقال أبو حنيفة والشافعي هو محرم لها ؛ لأنها محرمة عليه على التأبيد ، . . . ولا ينبغي أن يكون في المجوسي خلاف ؛ فإنه لا يؤمن عليها ويعتقد حلها . (بدائع الصنائع : ٣٠٠/٢ ، ط : دار الكتاب ديوبند) .

ثم صفة المحرم أن يكون عاقلاً بالغاً ، بحال يؤمن عليها ، أي : لا تخشى الفتنة على نفسها من جانبه ؛ لأن المقصود بالمحرم حفظ المرأة ، وذلك لا يحصل إلا من البالغ العاقل المأمون عليها . (انظر : المغني لابن قدامة : ١٩٤/٣ ، والفقه الإسلامي وأدلته للزحيلي : ٤٩٠/١) .

٤٠٢ – أدلة المجوزين :

والحاصل أن في اشتراط المحرم في سفر المرأة لحج الفرض قولين : الأول : يشترط لوجوب الحج ، والثاني : لا يشترط . وأما الفقهاء الذين لا يشترطون المحرم ، فهم يستدلون بما يأتي من الأدلة :

١ – قوله تعالى : (وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا) [عمران : ٩٧] .

وجه الاستدلال أن هذا الخطاب يعمّ الرجال والنساء ويشملهم أجمعين ؛ فإذا كان للمرأة زاد وراحلة وهي تأمن على نفسها ، فهي مستطيعة . (انظر : المجموع شرح المهذب : ١٤٥/٨ ، والعدة للصنعاني حاشية على أحكام الإحكام لابن دقيق العيد : ٤٨٧/٢) .

٢ – عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ ، قَالَ : بَيْنَا أَنَا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ أَتَاهُ رَجُلٌ فَشَكَا إِلَيْهِ الفَاقَةَ ، ثُمَّ أَتَاهُ آخَرُ فَشَكَا إِلَيْهِ قَطْعَ السَّبِيلِ ، فَقَالَ : " يَا عَدِيُّ ، هَلْ رَأَيْتَ الحِيرَةَ ؟ " قُلْتُ : لَمْ أَرَهَا ، وَقَدْ أُنْبِئْتُ عَنْهَا ، قَالَ : " فَإِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ ، لَتَرَيَنَّ الظَّعِينَةَ تَرْتَحِلُ مِنَ الحِيرَةِ ، حَتَّى تَطُوفَ بِالكَعْبَةِ لَا تَخَافُ أَحَدًا إِلا اللَّهَ . (أخرجه البخاري في الأنبياء ، بَابُ عَلَامَاتِ النُّبُوَّةِ فِي الإِسْلَامِ ، ٣٥٩٥) .

وجه الاستدلال أن المرأة إذا أمنت على نفسها جاز لها الخروج كما في هذا الحديث ، ولو لم يكن جائزاً لم يمدح به الإسلام . (انظر : الحاوي : ٣٦٤/٢ ، والمهذب مع المجموع : ٨٦/٧) . وقال النووي : " وأما حديث عدي فخرج في سياق المدح والفضيلة واستعلاء الإسلام ورفع مناره ؛ فلا يمكن حمله على ما لا يجوز " . (المجموع شرح المهذب : ٣٢٨/٩) .

٣ – عن ابن عمر ، قال : فقام رجل فقال : ما السبيل يا رسول الله ؟ قال : " الزاد والراحلة " . (أخرجه الترمذي في الحج ، باب : ومن سورة آل عمران ، برقم : ٢٩٩٨ ، وقال : " هذا حديث لا نعرفه من حديث ابن عمر إلا من حديث إبراهيم بن يزيد الخوزي المكي ، وقد تكلم بعض أهل العلم في إبراهيم بن يزيد من قبل حفظه " ، والدارقطني في الحج ، برقم : ٢٤١٧) .

أن النبي صلى الله عليه وسلم فسّر " السبيل " بأنه الزاد والراحلة لا غير ، ولم يذكر " المحرم " من السبيل . (راجع : الأم : ١١٧/٢ ، والتعليق الكبير : ١٠٩٩/٢) .

٤ – عن إبْرَاهِيم ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ جَدِّهِ ، " أَذِنَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، لأَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي آخِرِ حَجَّةٍ حَجَّهَا ، فَبَعَثَ مَعَهُنَّ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ ، وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ " . (أخرجه البخاري في الحج ، بَابُ حَجِّ النِّسَاءِ ، برقم : ١٨٦٠) .

وجه الاستدلال أن الحديث يدل على جواز سفر المرأة بغير محرم إذا كانت معها النساء الثقات والطريق مأمونا ، ولم ينقل نكير أحد من الصحابة رضي الله عنهم على اتفاق عمر وعثمان وعبد الرحمن وأزواج النبي على ذلك . (انظر : فتح الباري : ٧٦/٤ ، ٩١) .

٥ – عَنِ ابْنِ عُمَرَ ، قَالَ : كَانَتِ امْرَأَةٌ لِعُمَرَ تَشْهَدُ صَلاَةَ الصُّبْحِ وَالعِشَاءِ فِي الجَمَاعَةِ فِي المَسْجِدِ ، فَقِيلَ لَهَا : لِمَ تَخْرُجِينَ وَقَدْ تَعْلَمِينَ أَنَّ عُمَرَ يَكْرَهُ ذَلِكَ وَيَغَارُ ؟ قَالَتْ : وَمَا يَمْنَعُهُ أَنْ يَنْهَانِي ؟ قَالَ : يَمْنَعُهُ قَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " لاَ تَمْنَعُوا إِمَاءَ اللَّهِ مَسَاجِدَ اللَّهِ " . (أخرجه البخاري في الجمعة ، بَابُ هَلْ عَلَى مَنْ لَمْ يَشْهَدِ الجُمُعَةَ غُسْلٌ مِنَ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ وَغَيْرِهِمْ ؟ برقم : ٩٠٠) .

وجه الاستدلال أن الحديث دلّ على أنه لا يحلّ منعهن عن المساجد ، والمسجد الحرام من هذه المساجد . (الإحكام في أصول الأحكام : ١٦٧/٢) .

٦ – عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ المُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، قَالَتْ : قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَلاَ نَغْزُو وَنُجَاهِدُ مَعَكُمْ ؟ فَقَالَ : " لَكِنَّ أَحْسَنَ الجِهَادِ وَأَجْمَلَهُ الحَجُّ ، حَجٌّ مَبْرُورٌ " ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ " فَلاَ أَدَعُ الحَجَّ بَعْدَ إِذْ سَمِعْتُ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " . (أخرجه البخاري في جزاء الصيد ، باب حج النساء ، برقم : ١٨٦١) .

وجه الاستدلال أن الحديث يدل على جواز حج المرأة مع من تثق به ولو لم يكن زوجاً ولا محرماً . (فتح الباري : ٨٩/٤) .

٧ – قياس على المهاجرة من دار الحرب وعلى المأسورة إذا انفكت من الأسر ، بجامع أنه سفر واجب كما سفر الحج واجب ، فالعلة سفر الوجوب مشتركة بينهما . (راجع : مواهب الجليل : ٤٨٩/٣ ، والمجموع : ٣٤٦/٨ ، والمغني : ٣١/٥) .

٨ – أن السفر إلى الحج سفر واجب فوجب أن لا يكون المحرم شرطاً في قطع الطريق إليه . (راجع : الحاوي : ٣٦٤/٤) .

٩ – أن وجود من تأمنه يقوم مقام المحرم . (الإشراف لعبد الوهّاب : ٢١٧/١) .

٤٠٣ – أدلة المانعين :

وأما الذين يشترطون المحرم لوجوب الحج على المرأة ؛ فعلى قولهم لا تعّد المرأة مستطيعةً بدون محرم ، وهم احتجوا بأدلة نقلية وعقلية ، فهي على ما يلي :

١ – قوله تعالى : (وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا) [عمران : ٩٧] .

وجه الاستدلال أن من شرائط الاستطاعة بالنسبة للمرأة وجود محرم لها في سفرها من بلادها للحج حتى رجوعها ؛ لأن الآية مفسَّرة بالحديث الشريف الآتي عن ابن عباس رضي الله عنه في حق استطاعة المرأة ؛ فمعنى ذلك أن المحرم من السبيل في حقها ؛ بما أن الآية لا تتناول النساء حال عدم الزوج والمحرم معها ؛ لأن المرأة لا تقدر على الركوب والنزول بنفسها ؛ فتحتاج إلى من يركبها ، ولا يجوز ذلك لغير الزوج والمحرم ؛ فلم تكن مستطيعة في هذه الحالة فلا يتناولها النص . (بدائع الصنائع : ٢٩٩/٢ ، ط : دار الكتاب ، ديوبند – الهند) .

٢ – وعن أبي معبد ، قال : سمعت ابن عباس رضي الله عنه ، يقول : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يخطب يقول : " لا يخلون رجل بامرأة إلا ومعها ذو محرم ، ولا تسافر المرأة إلا مع ذي محرم» فقام رجل ، فقال : يا رسول الله ، امرأتي خرجت حاجة ، واكتتبت في غزوة كذا وكذا ، قال : " ارجع فحُج مع امرأتك " . (أخرجه البخاري في الجهاد والسير ، باب من اكتتب في جيش فخرجت امرأته حاجة ، أو كان له عذر ، هل يؤذن له ، برقم : ٣٠٠٦ ، ومسلم ، باب سفر المرأة مع محرم إلى حج وغيره ، برقم : ٤٢٤ – ١٣٤١ ، واللفظ لمسلم) . وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أيضاً ، أَنَّهُ قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى الْمَدِينَةِ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " أَيْنَ نَزَلْتَ ؟ " ، قَالَ : عَلَى فُلَانَةَ قَالَ : " أَغْلَقْتَ عَلَيْكَ بَابَهَا لا تَحُجَّنَّ امْرَأَةٌ إِلا وَمَعَهَا ذُو مُحْرِمٍ " (أخرجه الدارقطني في الحج ، برقم : ٢٤٤٠ ، وصححه أبوعوانة (نيل الأوطار للشوكاني : ٤٥٢/٣ ، باب النهي عن سفر المرأة للحج إلخ) .

وجه الاستدلال : دلّ ذلك على أنها لا ينبغي لها أن تحج إلا به ، ولو لا ذلك لقال له : وما حاجتك إليك ؛ لأنها تخرج مع المسلمين وأنت فامضِ بوجهك فيما اكتتبت ، ففي ترك النبي صلى الله عليه وسلم أن يأمره بذلك ، وأمره أن يحج معها ويخرج ويدع الغزوة ، دليل على أنها لا يصلح لها إلا به (شرح معاني الآثار : ١١٦/٢) ، ثم فيه دليل على أن الزوج داخل في مسمّى المحرم أو قائم مقامه . (نيل الأوطار : ٤٥٢/٣) .

كذلك عدم استفسار النبي صلى الله عليه وسلم واستفصاله منه : هل معها رجال مأمونون ، أو خرجت مع نساء ثقات ، دليل على أنها لا يصلح لها الحج إلا بزوجها ؛ لذلك قال الحافظ ابن حجر : لو لم يكن ذلك شرطاً ، لما أمر زوجها بالسفر معها وتركه الغزو الذي اكتتب فيه ، ولا سيّما رواه سعيد بن منصور عن حماد بن زيد ، عن عمرو بن دينار عن أبي معبد عن ابن عباس رضي الله عنه بلفظ : " فقال رجل : يا رسول الله ! إني نذرت أن أخرج في جيش كذا كذا ، ولو لم يكن شرطاً ما رخّص له في ترك النذر " . (فتح الباري : ٩٢/٤) .

ظهر من ذلك أن المحرم لو لم يكن شرطاً لوجوب الحج على المرأة ؛ لما أمر زوجها بالسفر معها للحج وترك الجهاد الذي اكتتب فيه ، لا سيّما أنه ورد في بعض ألفاظ الحديث : إني نذرت أن أخرج في جيش كذا كذا ، فلو لم يكن شرطاً ما رخّص في ترك نذره . ثم يؤكده حديث ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ : " لا تَحُجَّنَّ امْرَأَةٌ إِلا وَمَعَهَا ذُو مُحْرِمٍ " فيه التنصيص على تخصيص سفر الحج .

٣ – عَنْ أَبِي أُمَامَةَ ، قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : " لا تُسَافِرِ امْرَأَةٌ سَفَراً ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ أَوْ تَحُجَّ إِلا وَمَعَهَا زَوْجُهَا " . (أخرجه الدارقطني في الحج ، برقم : ٢٤٤٢) .

فيه دلالة على أن المرأة إذا قصدت مطلقاً أو أرادت السفر للحج ؛ فلا تسافر إلا ومعها زوجها أو محرم . والمعلوم أن النهي يقتضي التحريم .

٤ – الأحاديث الواردة في النهي عن عموم سفر المرأة بغير محرم مع اختلافها في الألفاظ والتعابير تتفق في المعنى والمراد ، وهو وجود الزوج أو المحرم يصاحبها في السفر ، سواء كان السفر مسيرة يوم وليلة (أخرجه البخاري عن أبي هريرة في أبواب تقصير الصلاة ، باب في كم يقصر الصلاة ، برقم : ١٠٨٨ ، ومسلم في الحج ، باب سفر المرأة مع محرم إلى حج وغيره ، ٤٢١ – ١٣٣٩ ، والترمذي نحوه عن أبي سعيد الخدري ، باب

ما جاء في كراهية أن تسافر المرأة ، ١١٦٩) ، أو يومين (أخرجه البخاري عن أبي سعيد الخدري ، في جزاء الصيد ، باب حج النساء ، برقم : ١٨٦٤ ، ومسلم في الحج ، باب سفر المرأة مع محرم إلى الحج وغيره ، برقم : ٨٢٧) أو ثلاثة أيام فصاعداً (أخرجه البخاري عن أبي هريرة في أبواب تقصير الصلاة ، باب في كم يقصر الصلاة ، برقم : ١٠٨٨ ، ومسلم في الحج ، باب سفر المرأة مع محرم إلى حج وغيره ، برقم : ٤١٨ – ٨٢٧) ، أو مطلقاً من قيد يوم أو يومين أو ثلاثة أيام (أخرجه ابن حبان عن ابن عمر في صحيحه ، برقم : ٢٧٢٩ ، ومسلم عن ابن عباس ، باب سفر المرأة مع محرم ، برقم : ٤٢٤ – ١٣٤١) .

وجه الاستدلال بهذه الأحاديث أن سفر المرأة للحج من جملة الأسفار الداخلة تحت الأحاديث ، فيمتنع سفر المرأة إلا مع الزوج أو المحرم . كذلك يستفاد من جملة الأحاديث أن كل ما يسمّى سفراً تنتهي عنه المرأة بغير زوج أو محرم .

٥ – قياس حج الفرض على حج النفل بعلة جامعة هي أنهما إنشاء سفر ، فكما لم يجز لها السفر بغير محرم لحج النفل كذلك لم يجز لها السفر بغير محرم لحج الفرض ، خاصة إذا علمنا أن حج النفل يجب ويلزم بالدخول فيه كما قال تعالى : (وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّـه) [البقرة : ١٩٦] (ينظر : المقنع شرح الخرقي : ٥٨٣/٢ ، والمغني : ٣١/٥ ، والفروع : ٢٤٢/٥) . ثم المقصود من مشروعية المحرم للمرأة في السفر حفظها وصونها ، وهو عام في القريب البعيد والفرض والنافلة (ينظر : بدائع الصنائع : ١٢٣/٢ ، وتبيين الحقائق : ٢٥٧/١ ، وشرح العمدة : ١٧٦/١) ؛ فلا يؤمن عليها دون محرم إذ النساء في الضعف كاللحم الموضوع على خشبة إلا ما ذب عنه .

٦ – يستفاد من الأحاديث السابقة الدالة على شرط المحرم للمرأة لفرض الحج أن شرط المحرم ليس معلّلاً بالمعاونة وخوف الفتنة ؛ بل ذلك أمر تعبدي ، لابد أن يعمل بذلك .

٧ – ومن المعلوم أن كل فقيه شرط شرطاً لوجوب الحج على الناس ليس من القرآن ولا من السنة ، كقضاء الدين ، والثبوت على الراحلة وغير ذلك ؛ فالشرط الذي قررته الأحاديث الشريفة أولى أن يؤخذ بالدرجة الأولى ويعمل به .

(للحديث بقية)

تطور الشعر العربي في العصر العثماني

الدكتور محمد شهاب الدين *

كانت الدولة العثمانية أولى دولة إسلامية في التاريخ امتدت فتوحاتها إلى ثلاث قارات ، وهي آسيا وأوربا وإفريقيا ، فهذا الوجود الإسلامي في قلب أوربا أجبر المؤرخين الغرب على التآمر ضد العثمانيين في أشكال مختلفة ، وكان هدفهم الرئيسي استفزاز الشعوب العربية ضد الدولة العثمانية وغرس المفاهيم الخاطئة في أذهانها تجاه الحكام العثمانيين وزرع الفتنة في العالم العربي وإقناع العرب بأن السلاطين العثمانيين أعداء للغة العربية وثقافة العرب ، ومن المؤسف أن بعض المؤرخين العرب قد اقتنعوا بهذه الإشاعات وأخفقوا في فهم المؤامرة وخطورتها .

والواقع أن آثار الشعراء العثمانيين لا تقل روعة وبراعة عن الأعمال الشعرية التي أنتجها الشعراء العرب في العصور المختلفة ، ولكن بسوء الحظ ، لم يعتن الباحثون العرب بشعر هذا العصر اعتناءاً ، فأصبح من الصعب للدارسين والباحثين دراسة النشاط الأدبي في العصر العثماني . يقول الأستاذ الدكتور عمر أبو موسى باشا :

" أهمل الباحثون المعاصرون دراسة الأدب العثماني ، وذلك لندرة المصادر المتعلقة به ، إذ أن معظمها ما زال مخطوطاً أو عسيراً وجوده ، أو بعيد المنال ، ولم يكلف هؤلاء الباحثون أنفسهم هذا العناء العلمي في البحث والتقصي ، والتوثيق والتحقيق ، ويضاف إلى ذلك جهلهم به ، فتراهم يقفزون من العصر العباسي إلى العصر الحديث متجاوزين أكثر من ستة قرون من التاريخ الأدبي ، والملاحظ أن بعض المؤرخين المحدثين يعد حكم العثمانيين فترة احتلال شامل ، ذلك لأن البلاد كانت تحت حكم سلاطينهم . والحقيقة أن العثمانيين لا يختلفون في تاريخنا العربي عن العناصر الحاكمة السابقه من البويهيين والسلاجقة والأكراد والشراكسة وغيرهم . وقد شهدت البلاد في عهودهم تطوراً في الفكر العربي والحضارة الإسلامية " [1] .

---

* الأستاذ المساعد بقسم دراسات العرب ، جامعة الإنجليزية واللغات الأجنبية ، حيدرآباد (الهند) .

[1] الدكتور عمر موسى باشا ، تاريخ الأدب العربي – العصر العثماني ، ص ٥ ، دار

وأضاف قائلاً : " والملاحظ أيضاً أن النهضة الفكرية في البلاد العربية كانت في واقعها أنشط منها في بلاد الترك (أي الروم ، كما كانت تسمى في العصر العثماني) ، فإن كانت القسطنطينية العاصمة السياسية للسلاطين العثمانيين تسيطر على الحكم وتسير الأمور في الولايات العربية ، فإن هذه الولايات كانت في شبه استقلال فكري ، لأن اللغة العربية والثقافة الإسلامية كانتا استمراراً طبيعياً للعصور السابقة ، وهذا التواصل الحضاري هو الذي حفظ للأمة العربية تراثها وأصالتها في هذا العصر " [1] .

الواقع أنّ الحكام العثمانيين كانوا يقومون برعاية العلماء والأدباء والشعراء وأصحاب العلوم والفنون ، وبفضل هذه الرعاية الحكومية ، نرى قائمة طويلة للأعلام والمفكرين العرب في هذا العصر ، نذكر المتميزين منهم : يوسف المغربي ، له ديوان شعر بعنوان (الذهب اليوسفي) ، وكما له عدة مؤلفات ، وأشهرها (دفع الإصر عن كلام أهل مصر) ، ونجم الدين الغزي ، قد كانٍ غزير التأليف والتصنيف وكان من أعلام النثر ، والمعروف أنه خلف خمسة وعشرين كتاباً ، والشهاب الخفاجي ، له العديد من المؤلفات ، ومن أشهرها (شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل والنادر الحوشي القليل) ، والمقري التلمساني ، يقال عنه : إن العلماء الواردين في دمشق لم يحظوا باحترام واسع وإقبال الناس كما كان يتمتع به . وقام بتأليف العشرات من الكتب ، ومن أعلام هذا العصر البهاء العاملي ، نور الدين الحلبي ، ابن سنان القرماني ومن بين الكتاب المشهورين ابن أبي الرجال اليمني ، أبي البقاء الحسيني ، حسين المعني ، أبي الوفاء العرضي ، الغزيري السوري – قد عهد إليه بأمر تنظيم المخطوطات في مكتبة الأسكوريال ، وقضى معظم حياته في تأليف الموسوعة الكبرى للمخطوطات العربية في مكتبة الأسكوريال . ومن أبرز شعراء هذا العصر ، هم : ابن النحاس الحلبي ، ومنجك باشا اليوسفي ، وابن النقيب الحسيني ، وأبو معتوق شهاب الموسوي ، والخال الطالوي الكيواني الدمشقي ، وأمين الجندي .

أصناف الشعر العربي في العصر العثماني :

وكل شاعر من الشعراء العثمانيين يتّخذ مذهباً فنيّاً معيّناً ، فابن

الفكر المعاصر ، بيروت ، لبنان .

[1] الدكتور عمر موسى باشا ، تاريخ الأدب العربي – العصر العثماني ، ص ٢١ ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، لبنان .

النحاس الحلبي يعتقد أنّ الجزالة هي الأصل في نظم الشعر ، ويركز على جمال المعاني ويتحاشى عن الإغراب والتعقيد في شعره ، لذلك يوجد في شعره الرقة والانسجام ، والأمير منجك باشا اليوسفي يعتمد على القدماء في كثير من معانيه ، ولكن الذي يتميز به أنه كان يحاول التجديد في هذه المعاني ، ويلبسها ثوباً قشيباً من الابتكار أو التوليد ، ويمثل بيئة معينة تجمع بين جمال التصير الفني ، والجرس الشعري . والشاعر ابن النقيب الحسيني يمثل الطبيعة الشامية بكل ما فيها من جمال وسحر ، وكان يتميز من غيره بمعانيه المبتكرة ، كما يتميز من عمق وابتكار في المعاني ، وجزالة وإجادة في الأسلوب ، والشاعر ابن معتوق شهاب الموسوي يمثل صورة من الشعر العربي الأصيل الذي لم تفسده الصنعة والفنون البيانية والبديعية . وعبد الغني النابلسي يلتزم بالوحدة الموضوعية في شعره ، وهو يهتم بالغزل في شكل رئيسي ، ونجد في أسلوبه الوضوح والرقة ، كما نجد في قصائده جرساً داخلياً بالإضافة إلى الجرس العروضي ، والمحافظة على الأصالة الشعرية .

وكذلك الخال الطالوي والكيواني الدمشقي وأمين الجندي من أعلام الشعراء في التاسع عشر اتخذوا لأنفسهم أسلوباً واضحاً بعيداً عن التعقيد والتكلف والتصنع ، نجد عندهم معاني مبتكرة وألفاظ جزلة وحسن التخيل واستخدام الصور الفنيّة وخاصة استعمال الاستعارات والتشبيهات ، فهم لا يستخدمون الألفاظ الغريبة أو المتنافرة ، وهؤلاء الشعراء العثمانيون كلهم كانوا قادرين على استعمال البحور من الطويل والبسيط والكامل والقوافي الثقيلة ، ونجد عندهم روائع شعريّة في الأغراض الشعرية المتعددة من المدح والفخر ، والرثاء ، والغزل ، والنسيب ، والوصف ، والموشّحات ، وفنون شعريّة مستحدثة . ونجد رصداً شاملاً لهذا التطور الفكري والثقافي والأدبي في مؤلفات ضخمة ، منها (ريحانة الألبا) للخفاجي و (نفحة الريحانة) للمحبي و (سلافة العصر) لابن معصوم .

شعر المديح :

كان شعر المديح لوناً شعريّاً متميّزاً في العصر العثماني ، وحظي هذا النوع من الشعر بشعبية أكثر ، ويشكل كمّية كبيرة من الشعر العثماني . يقول الأمير منجك معجباً بانتصار السلطان الأول بن أحمد الأول على الكفار في جزيرة كريت :

ملك من الإيمان جرّد صارماً بالحق حتى الكفر أصبح مسلما

قد جهّز السفن التي لو صادفت رضوى بأيسر لمحةٍ لتهدّما
وتلهّب البحر الخضّم مهابةً منك فظّنته (كريت) جهنّما

ويضيف قائلاً :

لو شاهد المطرودُ سطوة بأسه في صُلب آدم للسجود تقدّما
يذر الدّجي با لبشر صبحاً مشرقا والصبحُ بالإرهاب ليلاً مظلماً [1]

يصف الشاعر عبقرية شخصية الممدوح ، فهو يقول : إنّ ممدوحه بطل عظيم ، ترتعد فرائص الكفار ببطشته وهجومه ، وتفقد المعدات العسكرية والآلات الحربية من أهميتها أمام بسالته وشجاعته ، ويطري في وصف بطولة ممدوحه بقوله : إنّ البحر الخضم يخضع له ، فبحرارة شخصيته ينقلب في صورة جهنم ، ثم يبالغ في وصف ممدوحه ، فيقول : لم يكن في إمكان إبليس أن يأبى من السجود لآدم عليه السلام لو تنبه إلى قوة ممدوحه وهو في صلبه ، فهو يجبر أن يخر له ساجداً . وكذلك يقول في البيت الأخير : كل شيئ معجب بشخصية ممدوحه حتى نظام الكون يتجاوب معه ، فالظلام الدامس يتحول إلى صبح مشرق ، وفي نفس الوقت الصبح مستعد تماماً أن يتحوّل إلى ليل مظلم .

وإذا قارنا قصائد الأمير منجك بقصائد أبرز الشعراء العباسيين وجدنا تقارباً وتشابهاً كبيراً بينها في الأسلوب والمعاني ، على سبيل المثال نجد دويّ نفس المضمون الذي ورد في شعر الأمير منجك عند أبي تمّام وهو يصف حريق عموريّة التي فتحها الخليفة المعتصم :

حتى كأنّ جلابيب الدجى رغبتٍ عن لونها ، أو كأنّ الشمس لم تغبِ
ضوء من النار والظّلماء عاكفةٌ وظُلمةٌ من دخانٍ في ضحيً شحبِ [2]

شعر الفخر :

كان شعر الفخر من الأنماط الشعرية البارزة في العصر العثماني ، ولكن الشعراء العثمانيين جاؤوا بتجديد في شعر الفخر ، وهو استخدام هذا النوع من الشعر للتعبير عن العاطفة الدينية على انتصارات المسلمين ضد المسيحيين في حروب استمرت طوال هذا العصر .

فيما يلي نقدّم نموذجاً لشعر الفخر في العصر العثماني ، يقول ابن

---

[1] ديوان الأمير منجك ، ص ٩ ، الأدب العثماني ، الدكتور سامي يوسف أبو زيد ، الطبعة الأولى ، دار المسيرة عمان ، الأردن ،ص ٧٠ .

[2] ديوان أبي تمّام بواسطة تاريخ الأدب العربي – العصر العثماني ، تأليف : الدكتور عمر موسى باشا ، ص ٤٠ ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، لبنان .

النحاس :

وكل شعر يُلهيك رونقه ... فهو شعري الطراز والحللُ
سلبتُ ملكَ القريض خُرّده ... وأخبر القومَ بعدي الطللُ
فكن حكيماً بما ترى حِكماً ... لا يسبق السيفَ عندك العزلُ
أنا الذي إن مشى ملكاً ... وللقوافي من حوله زجلُ
أنا الذي لا يطيل وحشته ... إلاّ جهولٌ أو باخلٌ رذلُ
أنا الذي لا تُمِلّ صحبته ... ولا بأسرارٍ صحبه مذلُ
ولا مضيعٌ لهم إذا حفظوا ... ولا حفيظٌ لهم إذا عتلوا [1]

ويفخر الشاعر الأمير منجك على مآثر جده الأعلى قائلاً :

جدّي الذي ملك البلاد برأيه ... لا با لجنود ، الباسلُ البسّامُ
قد كان مملوكاً وأصبح مالكاً ... كل المملوك ببابه خدّامُ
قد عمّر الخاناتِ في سبيل الهدي ... لم يحصها صحفٌ ولا أقلامُ
تسعاً وتسعينا بنِاها مخلصاً ... ذاك الأمير المحسن المنعامُ

ويستطرد قائلاً :

ملكٌ إذا أمّ الضيوف جنابَه ... يدعو القِرى لسبيله اللإنعامُ
ملكٌ إذا سلّت صوارم جنده ... عيدانها : الهنديّ والصمصام [2]

للأمير منجك مجموعة من القصائد سمّاها " الروميات " . نظم الشاعر هذه القصائد في غربته في بلاد الروم ، وقد حاول الشاعر فيها أن يحذو حذو أبي فراس الحمداني الذي نظم عدة قصائد في زمان سجنه بالروم ، وأطلق على تلك القصائد اسم " الروميات " ، والأدباء قاموا بالموازنة بين روميات هذين الشاعرين من ناحية الموضوعات والمعاني ، فكل منهما يشكو تقلب الزمان وسوء الحال ويتألمان من الغربة وانقلاب الزمان عليهما ، هي موازنة جيدة يشعر القارئ بالمتعة والفرحة ويعجبه التشابه الذي يوجد بين الشاعرين في الأسلوب والموضوع والتناغم الشديد في إحساسهما تجاه عن شخصيتهما والتعبير الصادق عما يجول بخاطرهما .

يقول الأمير منجك :

لطقت بفضلي وامتدحت عشيرتي ... وما أنا مداح وما أنا شاعر

---

[1] ديوان ابن نحاس ، ص ٧٨ ، بواسطة الأدب العثماني ، تأليف : الدكتور سامي يوسف أبو زيد ، الطبعة الأولى ، دار المسيرة ، عمان ، الأردن ، ص ١٣٨ .

[2] ديوان الأمير منجك ، ص ٧٨ ، بواسطة الأدب العثماني ، تأليف : الدكتور سامي يوسف أبو زيد ، الطبعة الأولى ، دار المسيرة ، عمان ، الأردن ، ص ٩٧ و ٩٨ .

ما كنت أرضي بالـمجرة مورداً وظـلالـهـا وأحبتي ما داموا
قوم صغيرهم كـبـيـر في العلا يهوي الجميل ولم يرعه فطامُ
قوم إذا سُلّت ذكور سـيـوفـهم قتل النساءَ الـهـمّ والأوهـامُ
غـيـري يبالي بالـفخار وإنـنـي فحل الرجال ورتـبـة ومـقامُ
إذ منشئي قد كان تحت سرادق خدامها الصمصام والقـمـقام [1]

يكتب الدكتور سامي يوسف أبو زيد تعليقاً على سمات شعرهما : " ولئن كان أبو فراس الحمداني أرسخ قدماً في نظم الشعر ، وشعره أكثر سيرورة ، إلا قسوة الغربة التي تعرض لها الأمير منجك في بلاد الروم جعلت من شعره الذي قاله في غربته يرقى أحياناً إلى مستوى أبي فراس في التأثير الوجداني النفسي حتى وإن كان يحاكيه ويعارضه " [2] .

ونراه يفتخر على موروثه لكونه سليل المجد :

إنما الناس نحن في كل دار ونـداري ومـا بـنـا مـن يداري
لوأردنا غير الجياد ركـبـنا حيث سرنا على الأسود الضواري
غير أن الأيام قد حاربـتـنـا لاعـتـراض مـنـا على الأقدار

ثم يعبّر الشاعر عن تفائله من خلال هذه الأبيات :

إنـيّ أنـا البازي قصّ جناحه فعسى يراش ويعتريه فُكاك
إني أنا الذهب الذي قد شابه قـدر الـرغام يزيله الحكاك [3]

شعر الرثاء :

تطور شعر الرثاء في العصر العثماني في شكلٍ ملحوظ ، ولكن مراثي الشعراء العثمانيين لا تختلف مضموناً وشكلاً عن نظائرها في العصور الأخري ، فلمّا مات الخليفة سليمان القانوني الذي يعدّ من أبرز الخلفاء العثمانيين فحزن عليه الشعب ، فهب الشاعر العثماني الملاّ أبو السعود يرثي على موت هذا القائد العظيم في أسلوب مؤثر ، وشعره يمثل مشاعر الشعب في لحظاته الحزينة الكئيبة فهو يقول :

تاهت عقول الورى من هول وحشته فأصبحوا مثل مـجـنـون ومسعورِ

---

[1] الديوان ، ص ١٠٥ – ١٠٧ ، تاريخ الأدب العربي – العصر العثماني ، تأليف : الدكتور عمر موسى باشا ، ص ١٧٤ – ١٧٥ دار الفكرالمعاصر ، بيروت ، لبنان .

[2] الدكتور سامي يوسف أبو زيد ، الأدب العثماني ، الطبعة الأولى ، دار المسيرة ، عمان ، الأردن ،ص ٢٣٨ .

[3] ديوان الأمير منجك ، بواسطة تاريخ الأدب العربي – العصر العثماني ، تأليف : الدكتور عمر موسى باشا ، ص ١٧٤ – ١٧٥ ، الناشر دار الفكرالمعاصر ، بيروت ، لبنان .

تـقـطـعت قـطـعا منه القلوب فلا ... يكاد يوجد قلب غير مـكـسورِ
أجـفـانـهـم سـفن مشحونة بدم ... تجري ببحرٍ من العبرات مـسـجورِ
أم ذاك نـعـى سليمان الزمان ومن ... مـضـت أوامـره في كل مأمورِ
مدار سلـطـنـة الدنيا ومركزها ... خـلـيـفة الله في الآفاق مذكورُ
معلي مـعـالـم دين الله مُظهرها ... في الـعالـمين يسعى منه مشكورُ
وحسن رأيٍ إلي الخيرات منصرفٍ ... وصدق عزم على الألطاف مقصورِ
بآية العدل والإحـسان مـتـمسكٍ ... بـغـايـة القسط والإنصاف موفورِ
مـجـاهد في سبيل الله مجـتـهـد ... مؤيّدٌ في جـنـان الـقدس منصورِ
ورأية رفـعـت لـلمـجـد خـافقة ... تحوي على عَلَم بالـنـصر منشورِ [1]

شعر الغزل :

الغزل لون شعري قديم ، تطور هذا النوع من الشعر في العصر العثماني ، ونجد عند الشعراء العثمانيين كلا النوعين من الغزل – الغزل الحسي المادي والغزل العذري العفيف والشعراء العثمانيون ساروا على نهج الشعراء الأقدمين في شعر الغزل ، فالشاعر يستمد مادة غزله من بيئته وعصره ، وربّما يصف حبيبته وصفاً مادياً وربّما وصفاً رمزياً .

الشاعر يوسف المغربي يصف أوصاف محبوبته وصفاً مادياً من خلال هذه الأبيات :

جعلوا الصباح مباسماً ثمّ الظلا ... مَ ضـفـائـراً ثـمّ الرماح قدوداً
والوردَ خداً والـغـصون معاطفاً ... والـبـدرَ فـرقـاً والغزالة جيداً
ورأتْ غصون البانِ أنّ قـدودهـم ... فاقت فأضحتْ ركّعا وسجوداً [2]

تتجلى بهذهِ الأبيات أنّ تشبيه المباسم بالصباح ، والضفائر بالظلام والخدود بالورد ، والقدود بالرماح ، والجيد بعنق الغزال هي نفس التشبيهات التي استخدمها شعراءنا القدماء .

يصف ابن النحاس آلام العشق ولذة الحرمان :

ألذّ الهوى ما طال فـيـه الـتجنبُ ... وأحلاه ما فيه الأحـبّـة تعتبُ
وما بُعد دارٍ من حـبيبٍ مـذمّـمًا ... إذا لـم يـجـد فـيه مُناه المؤنّبُ
قضى الحظّ إلاّ أن أكون مبعّداً ... وألقى الذي لاقي المحبّ المعذّبُ

---

[1] المنح الربّانية ، ص ١٣٢ – ١٣٦ ، بواسطة الأدب العثماني ، تأليف : الدكتور سامي يوسف أبو زيد ، الطبعة الأولى ، دار المسيرة ، عمان ، الأردن ،ص ٧٥ .

[2] ديوان يوسف المغربي ، ص ٣٣ ، بواسطة الأدب العثماني ، تأليف : الدكتور سامي يوسف أبو زيد ، الطبعة الأولى ، دار المسيرة ، عمان ، الأردن ، ص ٨٩ .

ويقول الشاعر الأمير منجك :

أغار إذا وصفتك من لساني ومن قلمي عليك من بناني
لئن منعتك قومك من حديثي فكم باتت تساجلك الأماني
وإن حجبوك عن نظري فإني أراك بعين فكري من مكاني
وإن تك نار صدّك لي تلظى فمنك أشم رائحة الجنان
وإن شرّقت أوغربت عني فما لك منزل إلا جناني [1]

شعر وصف الطبيعة :

الشعراء العثمانيون أجادوا في وصف الطبيعة وشعرهم يصور جمال الطبيعة في أجمل شكل بما فيه وصف ورود وأزهار وبساتين وأشجار وطيور وأرباض ومنتزهات .

يصف الشاعر العثماني ابن النقيب القرنفل وصفاً دقيقاً ، فهو يقول :

انظر إلى خيمة وقد نُصِبت خضراء عند الصباح مبيضّة
كأنها قبّة لراهبة وقد كستها صُلبانٌ من فضّة

ويضيف قائلاً :

أما ترى ناصع القرنفل وافى بتحايا الشميم بين الزهور ؟!
قضبٌ من زبرجدٍ حاملاتٌ قطعاً فككت من الكافور [2]

الشيخ عبد الغني النابلسي يقول في وصف القرنفل :

زهر قرنفل في الروض يحكي قطور دمٍ علي صفحات ماء
رأي وجنات من أهوي فأغضي فبان بوجهه أثرُ الحياء [3]

يدعونا الشاعر منجك باشا اليوسفي إلى تأمل الطبيعة من خلال وصف الربيع فيقف على خفاياها وأسرارها لاستخراج معانيها ورموزها ، إذ يقول :

وتأمّل فصل الربيع تجدْهُ حِكَمًا أظهرت لنا أسرارا
وعلى الدوح للنسيم أيادٍ عن غصونٍ تفكّك الأزهارا
تتجلى عرائساً وعليها من جيوبٍ الغمام تلقي نُثارا
وترى الروض في شبابٍ وحسنٍ جعل النّورَس بُرده المعطارا [1]

---

[1] ديوان الأمير منجك ، ص ١٤ ، بواسطة تاريخ الأدب العربي – العصر العثماني ، تأليف : الدكتور عمر موسى باشا ، ص ٨٢ ، الناشر دار الفكرالمعاصر ، بيروت ، لبنان .

[2] الدكتور سامي يوسف أبو زيد ، الأدب العثماني ، الطبعة الأولى ، دار المسيرة ، عمان ، الأردن ، ص ١١٢ – ١١٣ .

[3] الدكتور سامي يوسف أبو زيد ، الأدب العثماني ، الطبعة الأولى ، دار المسيرة ، عمان ، الأردن ، ص ١١٢ – ١١٣ .

المدائح النبوية :

ومن ميزة الشعر العثماني كثرة المدائح النبوية ، وهناك العديد من الشعراء العثمانيين كأمثال ابن النحاس الحلبي ، وابن النقيب الحسيني ، وأبو معتوق شهاب الموسوي وأمين الجندي الذين نظموا قصائد رائعة في مدح النبيّ صلى الله عليه وسلّم ، فالشاعر ابن النحاس يتحدث عن مشاكله ويخاطب النبي صلى الله عليه وسلّم ملتمساً شفاعته ، فهو يقول :

يا أكرم الخلق فا عذر شاعراً وقفتْ عن درك أوصافك العليا قرائحُهْ
صفرَ اليدين ، غريبَ الدار منكسراً أتاك والذنب أفنى الدهرَ فادحُه
يهوي النجاة ولم يُسلف له عملاً يُسِرّ يوم يُسِرّ المرءَ صالحه
يا ويلّه يأتي للحساب غداً إن لم يكن لك مولاه يسامحه [٢]

والشاعر أبو معتوق الموسوي تميّز عن أقرانه في المدائح النبوية ، وله عدة أبيات نالت شعبية كبيرة فهو يقول :

فإلام يفجعني الزمان بفقدهم ولقد رأى جَلَدي على حَدَثانه
عتبي على هذا الزمان مطوَل يفضي إلي الإطناب شرح بيانه
هيهات أن القاه وهو مسالمي إنّ الأديب الحرّ حرب زمانه

ثمّ يقول مخاطباً النبيّ صلى الله عليه وسلّم :

يا سيد الكونين ! بل يا أرجح الث ثقلين عند الله في أوزانه
عذراً فإنّ المدح فيك مقصّر والعبد معترف بعجز لسانه
ما قدرُه ما شعُره بمديح من يثني عليه الله في قرآنه [٣]

شعر الزهد :

قد تطور شعر الزهد في العصر العثماني ، وكان الشاعر عبد الغني النابلسي رائداً وممثلاً بارزاً للشعر الزهد في هذا العصر ، وكان يتمتع بثقافة واسعة ، وله عدة مؤلفات في التصوف ، ومعظم الأحيان يصور النابلسي النشوة والطرب الصوفي وشطحاته الصوفية في شعره ، فهو يقول :

---

[١] الدكتور سامي يوسف أبو زيد ، الأدب العثماني ، الطبعة الأولى ، دار المسيرة ، عمان ، الأردن ، ص ٢٢٦ .

[٢] الديوان ، ص ٩ ، الأدب العثماني ، الدكتور سامي يوسف أبو زيد ، الطبعة الأولى، دار المسيرة ، عمان ، الأردن ، ص ١٢٤ .

[٣] ديوان أبي معتوق الموسوي ، ص ٧ ، بواسطة تاريخ الأدب العربي – العصر العثماني، تأليف : الدكتور عمر موسى باشا ، ص ٣٧١، الناشر دار الفكر المعاصر ، بيروت ، لبنان.

اسقني من مدامة القدّوس فهي ملء الدّنانِ ملءُ الكؤوسِ
وأدوها عليّ بين الندامى من قيام بسكرها وجلوسِ
صرف راح بشربها أميتت من نفوس وأحيت من نفوس
بكردنٌ عتيقة قد أعادت بالتدابير عهد جالينوس
قام يسعي بها المليح علينا ذو محيّا يفوق ضوء الشموسِ [1]

شعر الدعوة الإسلامية :

ازدهر شعر الدعوة الإسلامية في العصر العثماني في شكل ملحوظ ، والشعراء عن طريق شعرهم تناولوا مستلزمات العقيدة الإسلامية والقيم الدينية ، مثلاً يقول الشاعر ابن شرف متناولاً مسألة صفات الله في هذه الأبيات :

والله خالق أفعال العباد وما يجري عليهم فعن أمر الإله جرى
ففي يديه مقادير الأمور وعن قضاءه كل شيئٍ في الوري قدرا
فمن هدي فبمحض الفضل وفقه ومن أضلّ بعدلٍ منه قد كفرا
فليس في ملكه شئ يكون سوى ما شاء الله نفعاً كان أوضررا [2]

ويتضح بهذا أن الأدب العربي لم يضعف في العصر العثماني ولم يتوقف نشاطه الأدبي . والواقع أن الشعر العربي ازدهر في هذا العصر كازدهاره في عصوره الذهبية ، ويتجلى هذا بدراسة متأنية لتاريخ الأدب العربي – العصر العثماني ، فنجد فيه تطوراً ملحوظاً في جميع أنواع الشعر من المديح والرثاء والغزل والفخر والهجاء والوصف ، كما نجد فيه فنوناً شعرية مستحدثة كالمدائح النبوية وشعر الزهد والحماس وشعر الدعوة والجهاد والموشحات وأشكال شعرية أخرى ، فبإمكاننا أن نستخلص أن الأدب العثماني ليس أقل أهمية من أدب أي عصر من العصور الأدبية من حيث صياغته اللغوية ومكوناته الشعرية أو قيمته الفنية والحضارية ، فلا يسع لأحد أن يرفض أهمية أدب العصر العثماني أو يقلّل من قيمته التاريخية والتراثية .

---

[1] ديوان أبي معتوق الموسوي ، ص ١٧١ ، بواسطة تاريخ الأدب العربي – العصر العثماني ، تأليف : الدكتور عمر موسى باشا ، ص ٤٨١ ، الناشر دار الفكر المعاصر، بيروت ، لبنان .

[2] الدكتور سامي يوسف أبو زيد ، الأدب العثماني ، الطبعة الأولى ، دار المسيرة ، عمان ، الأردن ، ص ١٦١ .

التناص الديني في روايات غازي القصيبي

الأخ زبير حسين *

ملخص :

إن القضايا الدينية من أهم القضايا التي اهتمت بها الأمم في العصر الحديث ، ومن هنا نرى أن الخطاب الديني تلعب دوراً ملموساً في تصوير الصراع الاجتماعي والتناقضات الداخلية الموجودة في المجتمعات الإنسانية . ومن وجهة النظر هذه كانت روايات غازي القصيبي تتناول هذه القضايا المختلفة الموجودة داخل المجتمع بالتفصيل .

ونظراً إلى أهمية هذه الروايات وقع اختياري على هذا الموضوع . وفي هذه المقالة البحثية سأسلط الضوء على حياة غازي القصيبي بشكل موجز ، مع بيان مفهوم التناص ، وأهمية ظاهرة التناص الديني في رواياته .

تعريف موجز عن الكاتب :

إن المؤلف غازي عبد الرحمن القصيبي وُلد في منطقة الهفوف في الإحساء في المملكة العربية السعودية عام ١٩٤٠م ، وحصل على درجة البكالوريوس في القانون من جامعة القاهرة عام ١٩٦١م [١] ، ثم حصل على درجة الماجستير في العلاقات الدولية من جامعة جنوب كاليفورنيا عام ١٩٦٤م [٢] ، وعلى الدكتوراه في العلاقات الدولية من جامعة لندن عام ١٩٧٠م [٣] . وقد تولى العديد من المناصب الحكومية في بلاده السعودية أكثر من مرة .

وقد بدأ غازي القصيبي حياته الأدبية بكتابة الشعر ثم تحول إلى فن الرواية ، وله إنتاجات كثيرة في فن الرواية أيضاً ، وقد كان للشعر أثره الواضح في رواياته ، فألف في مجال الرواية العديد من الروايات ، هي : شقة

* باحث الدكتوارة في الجامعة العالية ، كولكاتا ، zobaer١٤٥@gmail.com

[١] القصيبي ، غازي ، عبد الرحمن : حياة في الإدراة ، ط ١٣ ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ٢٠٠٦م ، ص ٢٤ .

[٢] القصيبي ،سيرة شعرية ، ط ٣ ، تهامة للنشر والمكتبات ، ٢٠٠٣م ،ص ١٩ .

[٣] القصيبي ، حياة في الإدارة ، المصدر السابق ،ص ٣٦ .

الحرية ١٩٩٤م ، والعصفورية ١٩٩٦م ، وسلمى ، وحكاية حب ٢٠٠١م .

وقد أدخلنا في دراستنا هذه ثلاثة أعمال للقصيبي ، وهي : " شقة الحرية " ، و " العصفورية " ، و " حكاية حب " .

أهمية التناص الديني في العصر الراهن :

إن التناص الديني بما فيه الخطاب الديني تأتي أهميتها في الحياة الفردية والاجتماعية ومن خلال وسائل الإعلام التي تزداد وتتنوع يوماً فيوماً في حياتنا ، وتنبثق أهميتها بوصفها أهم الروافد التي تمتلك سلطة وتأثيراً على الإنسان منذ أقدم عهوده . ولا شك أن النص الديني بوجه عام مرتبط بحياة الفرد والجماعة ، ولو تأملنا في عصرنا هذا لرأينا للخطاب الديني حضوراً بارزاً ودوراً ملحوظاً في التنشئة الدينية للمجتمعات وزادت هيمنة الخطاب الديني بسعة انتشاره من خلال الوسائط المتنوعة التي يستعملها ، بداءً من الكتاب فالإنترنت فالبرامج التليفيزيونية وصولاً إلى البطاقة الدعوية ، ويرجع هذا التنوع والحيوية إلى الصحوة الدينية التي يعيشها العالم الإسلامي والبشرية جمعاء ، فالإنسان المعاصر في حاجة ماسة للاستماع لهذا الخطاب الذي مضمونه الكلام عن الإيمان في الدنيا ولخلاص الأخروي في الآخرة والتذكير بثوابت الدين الإسلامي وتشريعاته الغراء في وقت هيمنت فيه العولمة الفكرية والثقافية وانفتحت الأجيال المسلمة على مختلف روافدها ، فجمل تلك التصورات بإشكالاتها ، يمتلك لها الخطاب الديني في المنظومة الإسلامية إجابة واضحة وسليمة .

مفهوم التناص لغةً واصطلاحاً :

التناص لغةً :

يقال : نصّ الحديث ، ينصه نصّاً : أي رفعه . وقال عمرو بن دينار : ما رأيت رجلاً أنصّ للحديث من الزهري أي أرفع له . وتناصّ القوم : أي ازدحموا ، وفي القاموس المحيط : " تناص القوم عند اجتماعهم " [١] .

التناص اصطلاحاً :

أجمع النقاد والباحثون على أن التناص هو " العلاقة بين نصين أو أكثر ، وهي التي تؤثر في طريقة قراءة النص المتناص ، أي الذي تقع فيه

---

[١] المنجد في اللغة والإعلام ، دار المشرق ، بيروت ، مادة : نص ، ط ٣٣ ، ١٩٩م ،ص ٨١١ .

آثار نصوص أخرى أو أصداؤها [1] كما يقول أحمد الزعبي : إن التناص " تضمن نص أدبي ما نصوصاً أو أفكاراً أخرى سابقة عليه عن طريق الاقتباس أو التضمين ، أو التلميح ، أو الأشارة ، أو ما شابه ذلك من المقروء الثقافي لدى الأديب ، بحيث تندمج هذه النصوص أو الأفكار مع النص الأصلي ، وتندغم فيه لتشكل نص جديد واحد متكامل " [2] .

وتتعدد مشارب التناص في النصوص الأدبية عادةً ، وأن الأديب لا يكتفي غالباً بالاتكاء على القرآن الكيريم فقط ، بل يتعدى إلى مرادفات القرآن الكريم وشروحاته وعناصر مساعدته ، فالحديث الشريف باب ، وأقوال الإسلام باب إلى هذا المجال .

الخطاب الديني في روايات القصيبي :

لقد برز هذا الخطاب الديني في روايات غازي عبد الرحمن القصيبي، لأن الأدب الذي يبدعه ليس هو إلا شكلاً من أشكال انعكاسات الحياة وتأملات المصنف التي تمتزج بها معالم ثقافته وروافد تأمّلاته والتي يجسد الدين أحد أهم معالمها ، لذلك فإن توظيف الخطاب الديني يعدّ من المسلّمات التي تمظهرت من خلال الرواية العربية المعاصرة حيث إن " التراث الديني يشكل جزاءً كبيراً من ثقافة أبناء المجتمع العربي، لذا فإنّ أي معالجة للتراث الديني هي معالجة للواقع العربي وقضاياه " [3] .

اعتمد القصيبي في استخدامه التناص والتضمين على القرآن الكريم الذي " يمثل القوة المركزية الفاعلة والمؤثّرة في الثقافة العربية الإسلامية ، ذلك أنه المصدر الذي تنبثق عنه الرؤية الدينية للوجود ، وهو الخطاب المتعالي بنسجه الدلالي والأسلوبي ، وتركيبه اللغوي المخصوص [4] . لذلك انطوى بروزه في نسيج النص على الصعيد الشكلي المباشر أو

---

[1] عناني ، محمد ، المصطلحات الأدبية الحديثة ، الشركة المصرية العالمية للنشر ، ط ٢ ، ١٩٧٢م ، ص ٤٦ .

[2] الزعبي ، أحمد ، التناص مقدمة نظرية ، المؤتمر الأول للحركة الأدبية في الأردن ، جامعة مؤته ، ١٩٩٣م ، ص ٤ .

[3] وتّار ، محمد رياض ، توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة ، اتحاد الكتّاب العرب ، دمشق ، ٢٠٠٢م ، ص ١٤٢ .

[4] إبراهيم ، عبد الله ، التلقي والسياقات الثقافية ، ص ١ ، بيروت ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، ٢٠٠٠م ، ص ١٠١ .

المضموني على دلالات عميقة ، وكذلك برز توظيف المضامين والتشريعات الدينية القرآنية على الصعيد الموضوعي ، فنجد خطابات محورها العقيدة والتوحيد والحياة والموت والغفران وما ذلك .

وبعد القرآن الكريم يأتي القصيبي إلى الحديث النبوي الشريف ليقطف من بساتينه الأزهار الجميلة ويوظفه في رواياته . وجاء التوظيف موسوماً بالانتقائية والموقفية في تفنيد بعض القضايا المتصلة بالعقيدة والإيمان والأخلاق ، والمتصلة أيضاً بالتاريخ النبوي وما تلا ذلك ومقارنتها بالأوضاع السياسية التي تمنح من الدين شرائعها ومدى مصداقيتها استناداً إلى المرويات السيرية والمواقف النبوية الكريمة تجاه بعض المواقف والصراعات المذهبية والسياسية ، وقد أضاءت الأحاديث النبوية بمقتسباتها جنبات النص الروائي في الأغراض السابقة ، إما بنصوص مباشرة أو محال إليها من خلال سياق تركيبي معيّن .

وتأسيساً على ما سبق قسمنا مظاهر التناص الديني في النقاط التالية :

١. التناص اللفظي مع القرآن الكريم : وهو نوعان :
   أ. تنصيص الآيات القرآنية .
   ب. تضمين الأساليب والمعاني القرآنية .
٢. التناص اللفظي مع الحديث النبوي المأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم .
   أ. تنصيص الحديث الشريف .
   ب. التضمين الأسلوبي والمعنوي من الحديث الشريف .

وتفصيل هذه النقاط ونوعية العلاقة التي ربطتها بالنص الروائي والدلالات المنبثقة من ذلك التعاليق والجماليات التي يحققها عبر التآليف بين الخطابين الديني والروائي كالآتي :

التناص اللفظي مع القرآن الكريم : تنصيص الآيات القرآنية :

إن هذا النوع من التناص يستخدم في الروايات من خلال اقتباس جزء من النص القرآني ، ويرد وفق آلية كتابية تتخذ من قوسي التنصيص علامة على الاقتباس النصي من القرآن الكريم ، ودلالة على اقتطاع جزئي منه دونما أي تغيير في سياقه أو تراكيبه أو تراتيبه . وتتداخل الآيات القرآنية في النسيج الروائي للقصيبي محدثة نوعاً من المؤازرة

النصية التي تتخذ من السياقات القرآنية المقتسبة قواعد وأساسيات ومؤكدات للكثير من الأفكار والرؤى التي يطرحها السارد .

ومثال ذلك ما ذكره القصيبي في رواية شقة الحرية حينما يصور مشهد وداع الأم لابنها " فؤاد " الذي اتّجه من البحرين إلى القاهرة لاستكمال دراسته ، يقول السارد : " . . أمّه لا تترك أحداً يسافر إلا بعد أن يكتب على الجدار الآية الكريمة : " إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْآنَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ " ، تؤمن إيماناً لا يخالجه شك أن من يكتب هذه الآية لابد وأن يعود من سفرته سالماً بإذن الله . هذه المرة كان إصرارها أكثر من العادة ، ولم تطمئن حتى رأتها مكتوبة بخطه ثلاث مرات " [1] .

لقد استقطعت الآية القرآنية السابقة من قوله تعالى : " إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْآنَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ " [2] ، ولقد تضافرت الآية الكريمة مع النص الروائي في أكثر من محور ، حيث أبرزت الجانب العقائدي في النفس المؤمنة/ الأم ، التي تتوسل بكلام الله في التوكل والحفظ من المكروه . كما اتكأ النص الروائي على التناسب السياقي بينه وبين المقبوس القرآني حيث تحمل الآية القرآنية الكريمة بشارة للنبي صلى الله عليه وسلم من الله عزّ وجل برجوعه إلى مكّة آمناً منتصراً بعد خروجه منها [3] ، ويستثمر السرد هذه الدلالة فيصوم الأم الحريصة المشفقة والتي تصرّ على تلقين ابنها تلك الآية التي ستبشرها برجوعه سالماً .

وتظهر هذه النزعة العقائدية في رواية " شقة الحرية " حيث يجعل عبد الكريم يتوجه نحو الاعتقاد السليم فيما يتّصل بالروح وغيباتها بعد تجربته المربكة في استحضار روح جدته المتوفية . يسأل عبد الكريم الشيخ رضوان : " أتؤمن يا شيخ ببقاء الروح بعد فناء الجسد؟ بكل تأكيد يا ابني . وفي السيرة النبوية ما يؤكد ذلك . لقد تكلم الرسول

---

[1] القصيبي ، غازي عبد الرحمن ، شقة الحرية ، ط ٥ ، رياض الريس للكتب والنشر ، بيروت ، ١٩٩٩م ، ص ٢٢ .

[2] سورة القصص ، الآية : ٨٥ .

[3] الدمشقي ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي ، تفسير القرآن العظيم ، ط ٢ ، تحقيق : سامي بن محمد سلامة ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، ١٩٩٩م ، ص ٢٥٩

عليه الصلاة والسلام مع المشركين من قتلى بدر وقال : إنهم يسمعونه . لاحظ يا ابني التعبير الدقيق الذي استخدمه القرآن الكريم " وَمِن وَرَآئِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ " ، البرزخ بمعنى الحد الفاصل . للأحياء عالمهم ، وللأموات عالمهم ، وعالم الأموات غيب لا نعرف عنه إلا ما ورد به النص الصحيح . ألا توجد وسيلة للاتصال بالأرواح ؟ الوسيلة الوحيدة هي الرؤيا . ستجد في كتاب ابن القيم أمثلة لا تعد ولا تحصى . أما تحضير الأرواح فيجلب الجن لا الأرواح ، كما جربت بنفسك . لا تعد إلى مثل هذه المحاولة . اذكر قوله تعالى : وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ " [1] .

اتّكأ المسرود السابق في طرح خطابه الالتجائي اليقيني على الآيات التالية . يقول عزّوجل : " حَتَّىٰ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ . لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ كَلاَّ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا وَمِن وَرَآئِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ " [2] . وقال عزّ وجل : " وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُولَـٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً " [3] .

تضمين الأساليب والمعاني القرآنية :

هذا النوع من التناص يتجلّى في البعد الآخر للتضمين القرآني في النص الروائي حيث تنتظم من خلاله التجربة المعطاة وفق أنماط دلالية مضمّنة من القرآن الكريم فلا نحددها أطر التنصيص أو الأساليب ، بل تبرزها لغوية من معاني القراني القرآن الكريم وتشريعاته .

وفي هذا الشأن ؛ نرى القصيبي يعرض للقضية الإشكالية ويسوقها عبر حوار شخصية الرواية ويقف بينه سارداً حيادياً ناقلاً لفكر ورؤى كل طرف ، مانحاً القارئ حقه ودوره في الفاعلية النصية التي تتمثل في الاقتناع أو عدمه .

وفي حوار بين " يعقوب العريان بطل رواية " حكاية حب " في المستشفى الذي يقضي فيه أيامه الأخيرة ، يقول السارد الأسقف : " حقاً ألا أعرف إلا القليل عن الإسلام !! هذا شيئ مخجل . وما رأيك أن تعطيني بعض الدروس ؟ اشرب قهوتك ! أي قيمة لدين بلا ثوابت ؟ أي معنى لدين

---

[1] القصيبي ، شقة الحرية ، المصدر السابق ، ص ٢٥١ .
[2] سورة المؤمنون ، الآية : ٩٩ – ١٠٠ .
[3] سورة الإسراء ، الآية : ٣٦ .

يتغيّر في كل موسم مثل موضات الملابس . صدّقني إني أحترم الأصوليين من كل ملّة . ماذا ؟ قلت : الأصوليين ولم أقل الإرهابيين . الخلط الشائع بين الاصطلاحين يضايقني . أنا أومن بالله وكتبه ورسله وملائكته وقدره واليوم الآخر والحساب والجنة والنار وأحاول عمل الخير ما استطعت ، ومع ذلك لا أستطيع أن أقول : إني متدّين لأني ارتكبت الكثير من المعاصي . نحن نؤمن أن الله غفور رحيم ، وأن مغفرته تشمل كل الذنوب ، ما عدا الشرك " [1] .

في العبارات السابقة ، يضم المسرود السابق جملةً من التصورات المتّصلة بأكثر من جانب ، كالفصل بين الأصولية (الفهم الصحيح للتشريعات الربانية الثابتة) والتطرّف الذي أفرز مواقف مضادة لها وبعيدة عنها كالإرهاب ، فالعودة إلى منابع التشريع الإسلامي الأصلية بعيدة عن أي مؤثرات مغايرة وفهمها الفهم الصحيح ، وتطبيق المنهج القويم بصورة مستقيمة كفيل بإعطاء نتائج سليمة وعادلة .

أما فيما يتصل بالخطايا التي جبل البشر عليها ، فإن القرآن يحررهم من هذا الداء بدواء الغفران إن صحت التوبة ولم يقترف الجرم الأكبر وهو الشرك ، يتجلى ذلك المعنى في قوله عز وجّل : " إِنَّ ٱللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ به وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰ إِثْماً عَظِيماً " [2].

كَانتَ تلك المعانَي القرآنية التي ناقَشهَا يعقوب العريان في رواية " حكاية حب " في حوار قصير مع الأسقف الذي عمد الحوار إلى إبرازه متخوّفاً متردداً إزاء ما آمن به طيلة حياته وسعى له لتشكل جملة تساؤلاته عن الإسلام رغبة في البحث عن رواء شاف لعطش الأسئلة التي تتناوشه خاصة وهو مقبل على مصير مظلم بالنسبة إليه يتجسد في الموت .

التناص اللفظي مع الحديث النبوي : تنصيص الحديث الشريف :

يعتمد القصيبي في تنصيص الحديث الشريف على نفس الآليات الكتابية التي سار عليها الاقتباس القرآني المنصص ، أي ورود الحديث كاملاً بنصه واندغامه ضمن النسق الكتابي والمضموني للنسيج الروائي ، وبالرغم من كون نصية الحديث متسعةً متغايرةً مع الآية الكريمة المتسمة

[1] القصيبي ، حكاية حب ، دار الساقي ، بيروت ، ط ٧ ، ٢٠١١م ، ص ٤٢ – ٤٣ .
[2] سورة النساء ، الآية : ٤٨ .

بالإيجاز ، إلا أن ورودها ضمن الحيز الروائي لم يشكل معضلة فنية تعطل جماليات الرواية فنياً ، بل كان لها حضورها المتميز الذي يبررها ، ويعطي المتن الروائي تمدداً كتابياً ودلالياً ، والمتلقي زخماً معلوماتياً وتذكيرياً وإقناعياً .

يطرح القصيبي في رواية " شقة الحرية " عدة قضايا تجسدها الحوار بين الشخصيات ، منها قضية الفقر والحلول التي يقدمها المنهج الإسلامي على لسان النبي صلى الله عليه وسلم لها ، ولكن تلك الحلول لن تطبق إلا إذا تأسس المجتمع وفق تنشئة دينية سليمة وتربية إسلامية شاملة أساسها عبادة الله وفق تشريعاته السماوية ، يقتنع " عبد الرؤوف " بذلك تماماً ويدلل على ذلك بقوله : " لو أخذنا حديثاً نبوياً واحداً ، واحداً فقط ، " ما آمن من بات وهو شبعان وجاره جوعان " [1] ، درسناه في المدارس كما ندرّس تفاهات جمال عبد الناصر الآن هل تعتقد أنه سوف يكون هناك أمثال محمدين ، لو اهتم كل إنسان بجاره ، هل سيبقى جائع واحد ؟ " [2] ، و " محمدين " بطل قصة عبد الرؤوف التي تصور فتى في الثالثة عشرة من عمره ، يعول أسرته الفقيرة بسرقة أعقاب السجائر من الأوتوبيسات وإعادة لفها ومن ثم بيعها بثمن بخس .

وفي رواية " العصفورية " يأخذ الحوار بين البروفيسور بشار الغول وضياء الدين المهتدي طابعاً دينياً يقوم على بنية السؤال والجواب : "حدثني ، يا أخي ضياء حديث المؤمن الذي يحب الله لقاءه ، قال : نعم ! عن شريح ابن هاني عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من أحب لقاء الله أحب لقاءه ، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه : قال : فأتيت عائشة فقلت : يا أم المؤمنين ! سمعت أبا هريرة رضي الله عنه يذكر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثاً إذا كان ذلك فقد هلكنا " ، فقالت : إن الهالك من هلك بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه " . وليس أحد منا إلا وهو يكره الموت . فقالت . " قد

[1] ونص الحديث كالتالي ، قال صلى الله عليه وسلم : " ما آمن بي من بات شبعان وجاره جائع إلى جنبه " . البيهقي في السنن الكبرى ، ج ١٠ ، ص ٣ .
[2] القصيبي ، شقة الحرية ، المصدر السابق ، ص ٢١٧ .

قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس بالذي تذهب إليه . ولكن إذا شخص البصر ، وحشرج الصدر ، واقشعر الجلد ، وتشنجت الأصابع ، فعند ذلك من أحب لقاء الله أحب لقاءه . ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه " . قلت : أشهد الله وملائكته وأشهدك يا أخي ضياء أني أحب لقاء الله عزّوجل على كل حال " [1] .

فقد ورد الحديث السابق [2] بسياقه الأصلي كبنية مستقلة مندمجة مع البنية الحوارية للمسرود الروائي ، وهو يتضمن قضية إيمانية عميقة تتجسّد في حسن الظن بالله الغفران ، ففي هذا القدر الأقسى والبلاء الأعظم يتموضع امتحان الإيمان الصادق .

فمن الملاحظ مما سبق أن السياق الذي ينصّص فيها الحديث الشريف تطرح قضايا ووجهات نظر يقوم فيها المرجع الديني النبوي بدور إقناعي كبير ، كما يعطي الآراء المطروحة قيمة ووعياً كبيرين من خلال ربطها بالمنظور الديني .

تضمين الأسلوب والمعنوي من الحديث الشريف :

يرى القصيبي أن للحديث النبوي وبعض جوانب سيرة الرسول عليه السلام دوراً إقناعياً مهماً لتقوية الحجة والاستناد إلى أصل ديني يجلي النقاط المغلوطة والمبهمة في القضية . فتلك إذن إحدى الوظائف التنويرية التي تقوم بها الرواية إلى جانب إثرائها الثقافي للمتلقي . مما يجعلها ميداناً حيّاً لتداول مختلف القضايا التي تمس الأمة الإسلامية بطريقة محايدة تكتسب شرعية إقناعية أكبر بالنسبة للمتلقي . كما أن الوعي بحتمية التأثير بالآخر الذي يمكن أن يعدّ نتاج انفراده بالقوة وبالهيمنة التي استشرفها حديث الرسول صلى الله عليه وسلم الذي يحيل إليه ذلك الحوار بين يعقوب العريان والأسقف ، يقول السارد : " السيد . . . أعني جورج ! هذه أمور تخص الدين . . . بطبيعة الحال ! أفهم موقفك . . لا داعي لأن تعلّق أنت . سوف أعلّق أنا . كنت أشغل منصباً كبيراً في كنيستي ، ومع ذلك فأنا معجب بالكنيسة الكاثوليكية ، وبكم معشر المسلمين .

[1] القصيبي ،العصفورية : المصدر السابق ، ص ٢٤٧ .

[2] النيسابوري، أبي الحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري ، صحيح مسلم ، ط ١ ، دار ابن الجوزي، ١٣٩م ،كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار،حديث رقم : ٢٦٨٥ .

لا تزالون تتمسكون بالعقائد الأصلية . لا تعترفون بالمتغيرات . لا أدري إلى متى سيظل ذلك . أخبرنا نبينا محمد عليه السلام أننا سوف نفتفي آثاركم خطوة خطوة [1] .

يحيل المسرود السابق إلى حديث النبي صلى الله عليه وسلم ، الذي يقول فيه : " لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً شبراً وذراعاً ذراعاً حتى لو دخلوا حجر ضبّ تبعتموهم . قلنا : يا رسول الله اليهود والنصارى ؟ قال : فمن ؟ " ، فحالة الاقتفاء التي هيمنت على الأمة العربية متمثلة في صورة كثيرة هي إحدى اليقينيات التي أراد الروائي التذكير بها كإحالة غير مباشرة للمتلقي لبيان الوضع الراهن والخطير الذي يعاني منه الإسلام والحث غير مباشرة للمتلقي لبيان الوضع الراهن والخطير الذي يعاني منه الإسلام والحث غير المباشر على التمسك بالأصول والرجوع في كل أمور الحياة إليه قدر المستطاع حتى لا يؤول حال المسلمين ليصبح كحال الأسقف مذبذبين لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء .

الخاتمة :

لا شك أن القضايا الدينية بوجه عام مرتبطة بحياة الفرد والجماعة ، متجذّرة عبر استمرارية منبعها الإيمان الخالد في النفس ، والنزوع الدائم إلى مسلّمات الدين في سبيل إرواء الأسئلة الظامئة حول الوجود والكينونة والعلاقة مع الذات الإلهية والمصير الأخروي ، والحياة وأسرارها ومختلف مظاهرها ، واستنباط الحلول لمختلف الإشكالات المتصلة بنوازع الإنسانية وبجوانب الحياة وشتاتها إذ يعتبر الدين أحد أبرز مصادر الاستقرار الذاتي المحققة للأمان والتوازن النفسي عبر ما يجسده من قناعات ذهنية قطعية وتسليم نفسي مطلق .

لقد أثار القصيبي الخطاب الديني في أدبه من خلال استخدام التناص والتضمين ، وتعددت أشكال النص الديني في روايات القصيبي من خلال استخدامه الآيات القرآنية والنصوص الحديثية كما اعتمد على توظيف المعاني والمفاهيم القرآنية والحديثة في رواياته . و هي تتشكل لغة الروائي ورؤيته على تخوم لغة النص الديني ورؤيته ، بل هي تتداخل معها أو تتوالد من خلالها بغية إعطاء الخطاب الروائي قيمة غنية بالدلالات الخاصة ، وذات عمق ومصداقية وتأثير كبير .

[1] القصيبي ، حكاية حب ، المصدر السابق ، ص ٤٢ .

أدوات الشرط وأنواعها في القرآن الكريم واللغة العربية

الباحثة وسيمة نور *
الدكتور عبد القادر ♣

المقدمة : النحو هو جزء مهم باللغة العربية وفي جميع اللّغات . النحو يُساعِدنَا على تشكيل الجملة بطريق حسن . وفي هذه المقالة أوجزت أدوات الشرط العربية وأنواعها باللغة العربية بذكر أمثلة من القرآن الكريم .

أسلوب الشرط : هُو الرَّبطُ بين حَدَثَين يَتوَقّف ثّانيهما على الأوَّل . الجُملة الشَّرط هي تتكوّن مِن جُملتَين : تُسمَّى الأوّل جُملَة فِعل الشَّرط وتُسمَّى الثَّانية جملة جَواب الشَّرط . تتكوّن الجملة الشَّرطية في اللّغة العربيّة مِن ثَلاثة أجزاء : أداة الشَّرط وفعل الشّرط وجواب الشَّرط .

أدوات الشَّرط : هي وَسِيلة لِربْطِ فعل الشّرط بِجوّابهِ وتَكُونُ حَرفاً أو اسماً مَبْنِيّاً دَائِماً . وَتَقسِمُ أدوات الشّرط إلى قِسمَيْن : أدوات الشّرط الجازِمة وأدوات الشّرط غير الجازِمَة .

أدوات الشّرط الجَازمة : هَي الأدوات الّتي تَجزم فعلَين مُضارِعَين ، وهُما فعل الشّرط وجَواب الشّرط .

أدوات الشّرط غير الجازمة : هي الأدوات التي لا تُحدث تغييراً على الحركة الإعرابيّة لِفعل الشّرط وجَوابه .

فعل الشّرط : يَأتِي الفعل في الشّرطِ والجوابِ ، فعلا الشّرط والجواب يأتيان على حالاتٍ مُختلِفةٍ .

- يَأتيان مُضارِعَين مَجزُومِين ، ويَأتيان مَاضِيَين .
- ويَأتِي الشّرطَ مَاضِياً والجواب مُضَارعاً مَجزوماً .
- ويَأتِي الشرط مُضارعاً والجَواب مَاضِياً .
- وجَاء فعل الشّرط مُضَارعاً مَرفُوعاً والجوابُ مُضارعاً مَجزُوماً ، هكَذَا

جَوابُ الشّرط : الشّرطُ يَحتَاجُ كُلّ مِنه إلى جَوابٍ . وجَوابُ الشّرط يَكُونُ مَجزُوماً إذَا كَانَتْ الأدَاة جَازِمَة ، ويَكُونُ مُقتَرناً بالفاء في أحوَالٍ خَاصّة .

حُرُوفُ وأسمَاءُ الشَّرط : الكَلِمَات التي تستعمل في الشّرط إمّا حُرُوفٌ وإمّا أسماءٌ .

---

* باحثة الدكتوراه بالعربية ، كلية جمال محمد (حكم ذاتي) (التابعة لجامعة باردیداسان) ، ترشيرابلي ، ولاية تامل نادو ، الهند .
♣ الأستاذ المشارك والرئيس بقسم اللغة العربية ، كلية جمال محمد (حكم ذاتي) (التابعة لجامعة باردیداسان) ، ترشيرابلي ، ولاية تامل نادو ، الهند .

الحُروفُ هِي :

إنْ	إذْمَا	لَوْ	لَوْلا	لَوْمَا

إنْ : حَرفُ شرط مَبنِيٌّ على السُّكُون لا مَحَلّ لَهُ مِن الإعْرَاب .
إذْمَا : حَرفُ شرط مَبنِيٌّ على السُّكون لا مَحَلّ لَهُ مِن الإعْرَاب .
لَو : حَرفُ شرط مَبنِيٌّ يدلُّ على امْتِنَاع الجوَابِ لامْتِنَاعِ الشّرط ، حَرفُ شرط مَبنِيٌّ على السُّكون لا مَحَلّ لَهُ مِن الإعْرَاب .
لَوْلا ولَوْمَا : تَدلان على امتِنَاع الجوابِ لِوُجُود الشّرط .
إلاّ أنّ لِلْحَرفِ (إن) اسْتِعمَالات مَعِينة نوردهَا فِيما يلي :

- المَفرُوض أن يأتي فعلان مَجزُومان لفظاً أو مَحلاً ، أحدهُما فعل الشرط والآخر جوابه ، ولكنّ قط يأتي بعدها اسم ، وفي الحالة تقدر بعدها فعلاً يفسره الفعل المذكور .
- يكثر وُقوع (ما) الزّائدة بعد (إن) فتدغم فيها النّون .

إمّا : أصلُها إنْ ما ، إن حرف شرط مبني على السّكون لا محلّ له من الإعراب ، ما حرف زائد مبنيّ على السّكون لا محلّ له من الإعراب .
أسماء الشَّرط المَبْنِيّة فَهِي :

مَنْ	مَا	مَهْمَا	أيْنَ	أيَّان	مَتَى	أنَّى	حَيْثُمَا	إذَا

مَنْ : تعرب حسب مَوقعُها فِي الجملة .
مَا : تعرب حسب مَوقعُها فِي الجملة مثل (مَنْ) .
مَهمَا : تَدُلُّ على مَعنى (مَا) وتعرب إعرابُها .
مَتَى وأيَّان : يعربان ظرف زمَان دَائِماً والعامل فيه فعل الشَّرط .
أين وأنَّى وحَيثُمَا : تعرب ظرف مَكان والعامل فيه فعل الشَّرط .
إذا : وتختلف من الأسمَاء السَّابقة الّتي تدُلّ على الظَّرفِيّة ، أن العامل فيها ليس فعل الشَّرط وإنّما الجواب . وتقُول فِي إعرابهم : إنها ظرف لما يستقبل من الزمان خافض لشرطه منصوبٌ بجوابه .
تقسم أدوات الشَّرط إلى قِسمَين :

أدوات الشَّرط الجَازِمة : الأدوات الّتي تجزم فعلين وهي اثنتا عَشرة أدَاةً ، إنْ وإذمَا وهُمَا حرفان ، مَنْ ومَا ومَهمَا ومَتَى وأيّان وأين وأنّى وحَيثُمَا

وكَيفمَا وأيٌّ وجَمِيعُهَا أسماء .
إنْ : حرف شرْط جَازم مَبْنيّ على السّكُون لا مَحلّ له من الإعراب ، ويستعمل للدّلالة على العَاقل .
قال اللّه تعالى : (وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ) [1] .
مثلاً : إنْ تَدْرُسْ جَيِّداً ، تَنْجَحْ فِي الامْتِحَانِ .
إنْ – حرف الشّرط الجازم .
تَدْرُسْ جَيِّداً – جملة فعل الشّرط .
تَنْجَحْ فِي الامْتِحَان – جملة جواب الشّرط .
إذْمَا : حرف شرْطَ جَازم مَبْنيّ على السّكُون لا مَحلّ له من الإعراب ، ويستعمل للدّلالة على غير العَاقل أو صِفات العاقل .
مثلاً : إذْمَا تَجْتَهدْ تَنَلْ جَائِزَة .
إذْمَا – حرف الشّرط الجازم .
تَجْتَهدْ – فِعل الشّرط .
تَنَلْ جَائِزَة – جواب الشّرط .
مَنْ ومَا ومَهْمَا : اسم شرط جازم مبنيّ على السّكون في مَحلّ رَفْع مُبْتدأ (حسب الجملة) .
قال اللّه تعالى : (مَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَاديَ لَهُ ۚ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ) [2] .
وقال اللّه تعالى : (مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا) [3] .
وقال اللّه تعالى : (وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ) [4] .
مثلاً : مَنْ يَغِبْ أكْثَر مِنْ اُسْبُوْعَيْنِ يُطْوَ قَيْدُهُ .
مَا تأْكُلْ آكلْ مَعَك .
مَهْمَا تَعْمَلْ يَعْلَمْهُ اللّه .
مَنْ / مَا / مَهمَا – أسماء الشّرط الجَازم .
يَغِبْ أكْثَر مِنْ اُسْبُوْعَيْن / تأْكُلْ / تَعْمَلْ – جملة فعل الشّرط .
يُطْوَ قَيْدُهُ / آكلْ مَعَك / يَعْلَمْهُ اللّه – جواب الشّرط .
مَتَى : اسم شرط جازم مَبنِيّ على السّكون فِي مَحَلّ نَصب ظرف زمَان ، ويستعمل للدّلالة على الزّمَان .
قال اللّه تعالى : (وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ) [1] .

---

[1] سورة المائدة : ٦٧ .
[2] سورة الأعراف : ١٨٦ .
[3] سورة البقرة : ١٠٦ .
[4] سورة الأعراف : ١٣٢ .

مثلاً : مَتَى تَطْلُبْ الْمُسَاعَدَةُ مِنْ اُسْتَاذِكَ ، يُسَاعِدْكَ .
مَتَى – اسم الشّرط الجازم .
تَطْلُبْ الْمُسَاعَدَةُ مِنْ اُسْتَاذِكَ – جملة فعل الشّرط .
يُسَاعِدْكَ – جواب الشّرط .
أيَّانَ : اسم شرط جازم مَبنِيّ على الفتْح فِي مَحَلّ نَصب ظرف زمَان ، ويستعمل للدّلالة على الزّمَان .
قال اللّه تعالى : (يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا) [٢] .
مثلاً : أيَّانَ تَجْلِسْ إحْفَظْ لِسَانَكَ .
أيَّانَ – اسم الشّرط الجازم .
تَجْلِسْ – فعل الشّرط .
إحْفَظْ لِسَانَكَ – جواب الشّرط .
كَيْفَمَا : اسم شرط جازم مَبْنِيّ على الفَتْح في محلّ نَصْب حَال ومَا زَائِدَة ، ويستعمل للدّلالة على الحال والكَيْفِيّة .
قال اللّه تعالى : (قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ) [٣] .
مثلاً : كَيْفَمَا تُجْرِمْ تُعَاقَبْ .
كَيْفَمَا – اسم الشّرط الجازم .
تُجْرِمْ – فعل الشّرط .
تُعَاقَبْ – جواب الشّرط .
أنَّى : اسم شرط جازم مَبنِيّ على الفتح فِي مَحَلّ نَصب ظرف مكان ، ويُستعمل للدّلالة على المكان .
مثلاً : أنَّى تَبْحَثْ تَجِدْ مَا تُرِيْدُ .
أنَّى – اسم الشّرط الجازم .
تَبْحَثْ – فعل الشّرط .
تَجِدْ مَا تُرِيْدُ – جواب الشّرط .
حَيْثُمَا وأيْنَمَا : اسم شرط جازم مَبنيّ على الضّم في حَيْثُمَا والفتح في أيْنَمَا في مَحَلّ نَصْب ظرف مَكان و (ما) زائدة لِتّوكيد .
قال اللّه تعالى : (أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْت بِخَيْرٍ) [٤] .
وقال اللّه تعالى : (وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ) [١] .

---

[١] سورة يونس : ٤٨ .
[٢] سورة الأعراف : ١٨٧ .
[٣] سورة النّمل : ٦٩ .
[٤] سورة النحل : ٧٦ .

مثلاً : حَيْثُمَا يَذْهَبْ يَجِدْ صَدِيْقًا .
أيْنَمَا تَجْلِسْ أجْلِسْ مَعَك .
حَيْثُمَا/ أيْنَمَا – أسماء الشّرط الجَازم .
يَذْهَبْ / تَجْلِسْ – هما فعلِ الشّرط .
يَجِدْ صَدِيْقًا / أجْلِسْ مَعَك – هما جواب الشّرط .
أيْنَ : يستعمل للدّلالة على المكان .
مثلاً : أيْنَ تَسْكُنْ أسْكُنْ .
أيْنَ – اسم الشّرط الجازم .
تَسْكُنْ – فعل الشّرط .
أسْكُنْ – جواب الشّرط .
أيٌّ : اسم شرط يكون اعتماده في إعرابه ودلالته على سياق الجملة الوارد فيها .
قال اللّه تعالى : (منْ أيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ) [٢] .
مثلاً : أيَّ عَمَل تَعْمَلْ أعْمَلْ مِثْلَهُ .
أيَّ – اسم الشَّرط الجازم .
تَعْمَلْ – فعل الشّرط .
أعْمَلْ مِثْلَهُ – جواب الشّرط .
أدوات الشَّرط غير الجَازمة : الأدوات الّتي تُفيد الشَّرط ولا تجزم هي أدوات الشّرط غير الجازمة . وهي :
لَو: تفيد امتنَاع الجواب لامتنَاع الشّرط .
قال اللّه تعالى : (لَو أنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ) [٣]
مثلاً : لَو اجْتَهَدْتَ لَنَجَحْتَ .
لَوْ – حرف الشَّرط غير الجازم .
اجْتَهَدْتَ – فعل الشّرط .
لَنَجَحْتَ – جواب الشّرط .
لَوْلا ولَوْمَا : تَدخُلانِ على امتِنَاع الجَواب لِوجودِ الشّرط .
قال اللّه تعالى : (فَلَوْلَا إن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ) [٤] .
مثلاً : لَوْلا الطَّبِيبُ لسَائَتْ حَال الْمرِيْضِ .
لَوْمَا العَمَلُ لَمْ تَكُنْ لِلْعِلْمِ فَائِدَة .

---

[١] سورة البقرة : ١٥٠ .
[٢] سورة عبس : ١٨ .
[٣] سورة الحشر : ٢١ .
[٤] سورة الواقعة : ٨٦ .

لَوْلا الطَّبِيبُ / لَوْمَا العَمَلُ : جملة الشّرط .
لسَاءتْ حَال المرِيْضِ / لَمْ تَكُنْ لِلْعِلْمِ فائِدَة : جواب الشّرط .
لَمَّا وكُلَّمَا : ظرفان للماضي ولا يليهما إلا الفعل الماضي .
قال اللّه تعالى : (أَوَ كُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم) [1] .
وقال اللّه تعالى : (فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ) [2] .
مثلا : لَمَّا قام إبْنِي بواجِبِهِ كافأته .
كُلَّمَا كَثُرَتْ خزَانَ الأسرار زَادتْ ضِيَاعاً .
لَمَّا / كُلَّمَا – اسم الشّرط وظرف .
قَام إبْنِي بواجِبِهِ / كَثُرَتْ خزَانَ الأسرار – جملة فعل الشّرط .
كافأته / زَادتْ ضِيَاعاً – جواب الشّرط .
إذَا : ظرف للزّمان المستقبل ولا يليهما إلا الفعل ظاهراً أو مقدّراً وإمّا تفيد التّفصيل وتفيد مقام أداة الشّرط وفعله مَعاً وتَلزمُ الفاءُ جوابُها .
قال اللّه تعالى : (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ) [3] .
مثلا : إذَا مَرِضْتَ فاذْهَبْ إلَى المَرِيْضِ .
إذَا – اسم الشّرط .
مَرِضْتَ – فعل الشّرط .
فَاذْهَبْ إلَى المرِيْضِ – جواب الشّرط بالفاء .
يجب اقتران جملة جواب الشّرط بالفاء في كُلّ موضع لا تصلح فيه أن تقع شرطاً وذلك بأن كانت :
- جملة اسميّة

قال اللّه تعالى : (فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ) [4] .
مثلا : مَنْ يُرِدْ هَذَا الكِتَابَ فَهُو عِنْدَ المُدِيْر .
مَنْ يُرِدْ هَذَا الكِتَابَ – جملة فعل الشّرط .
فَهُو عِنْدَ المُدِيْر – وجود جملة اسميّة في الجواب .

- جملة طلبيّة (فعل الأمر ، لام أمر ، فعل النّهي ، استفهام) .

قال اللّه تعالى : (فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ) [5] .
مثلا : إذا رَأيْتَ حَامِدًا فاسْألْهُ عَنْ مَوْعِدَ السَّفَرِ .
إذا رَأيْتَ حَامِدًا – جملة فعل الشّرط .

---

[1] سورة البقرة : ١٠٠ .
[2] سورة الأنبياء : ١٢ .
[3] سورة البقرة : ١٨٦ .
[4] سورة البقرة : ١٨٤ .
[5] سورة القصص : ٥٠ .

فَاسْأَلْهُ عَنْ مَوْعِدَ السَّفَرِ – وجود فعل الأمر في الجواب .

- جملة ذات فعل جامد (ليس ، عسى ، نعم ، بئس ، حبّذا) .

قال الله تعالى : (وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ) [1] .

مثلاً : إِنْ تَكُنْ مُسْتَعْجِلاً فَلَسْتُ مُسْتَعْجِلاً .

إِنْ تَكُنْ مُسْتَعْجِلاً – جملة فعل الشّرط .

فلَسْتُ مُسْتَعْجِلاً – وَجود (لَيْسَ) في الجواب .

- مسبوقاً بالنّفي (ما ، لن ، لم) .

قال الله تعالى : (وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا) [2] .

مثلاً : مَهْمَا تَكُنْ الظُّرُوْفُ فمَا أكْذِبْ .

مَهْمَا تَكُنْ الظُّرُوْفُ – جملة فعل الشّرط .

فمَا أكْذِبْ – وَجود (مَا) في الجواب .

- مسبوقاً بالتّحقيق (قد) .

قال الله تعالى : (وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا) [3] .

مثلاً : مَهْمَا يَكُنْ سَبَبُ غِيَابِك فقَدْ فَاتَك دَرْسٌ مُهِمٌ .

مَهْمَا يَكُنْ سَبَبُ غِيَابِك – جملة فعل الشّرط .

فقَدْ فاتَك دَرْسٌ مُهِمٌ – وجود (قَدْ) في الجواب .

- مسبوقاً بالتّنفيس (س ، سوف) .

قال الله تعالى : (فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ . فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا) [4] .

مثلاً : إِنْ لَمْ تَجِدُوْنِي فِيْ مَكْتَبِيْ فَسَتَجِدُوْنَنِي فِي مَكْتَبِ الْمُدِيْرِ .

إِنْ لَمْ تَجِدُوْنِي فِيْ مَكْتَبِيْ – جملة فعل الشّرط .

فَسَتَجِدُوْنَنِي فِي مَكْتَبِ الْمُدِيْرِ – وجود (سِ) في الجواب .

الخاتمة : يتكوَّن النَّحو مِن كَثِير مِن القوَاعد الصَّغِيرة الّتي تَعْمل مَعاً لإِنْشَاء اللُّغة . لقد ركّزنَا على التَّفاصيل المعقّدة لموضُوع أدوات الشّرط وأنواعها . ستساعدنا القواعد الّتي تَمت مناقشتها في هذه المقالة بوضوح شَديد ، وآمل أن هذه المقالة ستنفع الطّلاب المبتدئين الناشئين باللغة العربية .

المصادر والمراجع :

١. النّحو الواضح .
٢. التّطبيق النّحوي .
٣. دروس اللّغة العربيّة لغير النّاطقين بها (الجزء الثالث) .

[1] سورة الأحقاف : ٣٢ .
[2] سورة الكهف : ٥٧ .
[3] سورة الأحزاب : ٧١ .
[4] سورة الانشقاق : ٧ – ٨ .

وداعاً . . شيخ اللغويين

الدكتور/ عبدالغفار هلال

(١٩٣٦ – ٢٠٢٠م)

بقلم : أ . د/ محمد بلاسي *

إن موت العلماء خطب جلل ، ورزية عظيمة ، وبلاء كبير ؛ فالأشخاص كلما كان دورهم عظيماً وأثرهم كبيراً – كانت المصيبة بفقدهم أشد ، لكنها سنة الله الجارية في خلقه ؛ فالموت لا محيد عنه ولا مفر ؛ لكن فرق كبير بين موت إنسان من عامة الناس لا يشعر بفقده إلا أهله وأقاربه فيترحمون عليه ويدعون له بالمغفرة ، وبين موت علم من أعلام الأمة وحبر من أحبارها ، يستفيد الناس من علمه وفتواه :

لعمرك ما الرزية فقد مال ولا شاة تموت ولا بعير
ولكن الرزية فقد شخص يموت بموته خلق كثير

وفقيدنا الدكتور عبدالغفار هلال : (العميد الأسبق لكلية اللغة العربية – جامعة الأزهر) – علم يُشار إليه بالبنان ، ذو قامة مرفوعة ، وهمة متجددة ، وذهن متقد ، وبديهة سريعة .

فكره وعلمه تميزا بطبيعتهما الاستيعابية ، التي بدورها صاغت ونسجت علاقاته مع الآخر المختلف .

أسلوبه في الحوار ممتع ؛ يعرض وجهة نظره التي يؤمن بها بأسلوب حكيم ، وطريقة تشد السامع إليه ، وتؤثر فيمن يحاوره .

هادئ الطبع ، ابتسامته مشرقة لا تفارق محيَّاه حتى في أحرج الأوقات . ساحر في نقاشه ، متزن في ثقافته ، واثق في علمه ، متمكن من عمله ، مصلح في مجتمعه ، ذو ثقافة إسلامية عالية ، عفيف النفس واليد واللسان .

* الأستاذ في جامعة الأزهر prof.plasy@gmail.com

كان مشهوداً له بالحزم في موطن الحزم ، وقوة الشخصية ، من منطلق غيرته الشديدة على العلم والفضيلة ، في الوقت الذي كان يرعى فيه النابهين ، وقد شرفت بالتلمذة على يديه في مرحلة الدراسات العليا ، وحظيت منه بكل الرعاية والعناية .

قلمه سيال ، وثقافته لا يحدها مكان ، ولا يجمعها زمان ؛ كتب في شتى الموضوعات والقضايا ، وكتاباته كلها لخدمة الإسلام والمسلمين.

كان – رحمه الله – أسلوبه الدعوي متميزاً ، اجتهاداً ورواية ودراية ، خطيباً ومحاضراً ومحاوراً ؛ تستدعي معه – تلقائياً – الإعجاب بتفوقه ، والانبهار بمستواه ؛ فاستحق أن يكون من أنبه من أنجبهم الأزهر الشريف في العصر الحديث .

واستحق – بجدارة – التكريم من فخامة رئيس جمهورية مصر العربية عام ٢٠١٥م ، بمنحه : (وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى) .

نشأته وحياته :

ولد أ . د/ عبدالغفار حامد هلال عام ١٩٣٦م بقرية : " برما " التابعة لمدينة طنطا بمحافظة الغربية بوسط دلتا مصر .

التحق بكتّاب القرية ، وحفظ القرآن بقراءاته ثم التحق بمعهد طنطا الأحمدي الأزهري عام ١٩٥١م .

وفي عام ١٩٥٤م تخرج منه ، وكان الأول على الجمهورية .

وفي عام ١٩٥٩م أنهى دراسته الثانوية ، وكان ترتيبه فيها الثاني على الجمهورية .

وفي عام ١٩٦٤م أتم دراسته بكلية اللغة العربية – جامعة الأزهر ، بتقدير : (جيد جداً مع مرتبة الشرف) ، وكان ترتيبه الرابع على الدفعة .

وفي عام ١٩٦٦م حصل على الماجستير بتقدير : (جيد جداً) ، فالدكتوراه عام ١٩٧١م برسالته : (ابن جني اللغوي) ، بتقدير : (مع مرتبة الشرف الأولى) ، وترقى حتى حصل على الأستاذية عام ١٩٨٢م .

وفي عام ١٩٩٦م عين عميداً لكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بمدينة السادات .

كما عين عميداً لكلية اللغة العربية بالقاهرة عام ١٩٩٩م .

وقد شغل – رحمه الله – مقرر اللجنة العلمية الدائمة لترقية أساتذة أصول اللغة بجامعة الأزهر .

الاهتمامات والإنجازات :

- شارك في الكثير من المؤتمرات العلمية الإسلامية واللغوية ؛ ممثلاً للجامعات التي عمل بها .
- شارك في لجان " المجلس الأعلى للشئون الإسلامية " ، وفحص الكتب والبحوث التي تتصل بالإسلام ، كتابة تقارير عنها .
- شارك بلجان تأليف الكتب وفحصها ، بهيئة (اليونسكو) ، في مجال الطفولة وتعليم الكبار .
- له مشاركات بالأحاديث والندوات والمحاضرات والبرامج في الإذاعة والتليفزيون ؛ لخدمة المجتمع ، والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة
- له برنامج : " أضواء على السنة النبوية الشريفة " ، الذي يُذاع يومياً في إذاعة القرآن الكريم .
- له العديد من البحوث والمقالات المنشورة التي تتصل بالإسلام واللغة العربية وعلومها على صفحات الكثير من الدوريات في مصر والوطن العربي .
- له الكثير من الفتاوى الفقهية في الأمور التي يستفتى فيها ، ومنها الآلاف التي نشرت في الصحف والمجلات ووسائل الإعلام المسموعة والمرئية على مستوى العالم العربي والإسلامي .

العضويات :

- عضو المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .
- عضو اتحاد كتّاب مصر .
- عضو رابطة الأدب الحديث .
- عضو مجلس إدارة المركز العام لجمعيات الشبان المسلمين العالمية .
- عضو مجلس إدارة جمعية الأسرة المسلمة والمسلم الصغير بمصر .
- عضو لجنة القرآن والسنة بمركز الشيخ صالح كامل للاقتصاد الإسلامي بجامعة الأزهر .

- عضو المجالس القومية المتخصصة بلجنة شئون التعليم ولجنة الآداب .
- عضو المجلس القومي للثقافة والفنون والآداب والإعلام .
- عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية .

هذا ؛ بالإضافة إلى شغله مستشار تحرير مجلة : " رسالة الإسلام "، تلك التي يصدرها المركز العام لجمعيات الشباب المسلمين العالمية.

عطاؤه العلمي :

يعد الفقيد الراحل أحد أعلام اللغة العربية في مصر والعالم العربي ، وقد أثرى المكتبة العلمية بمؤلفاته العديدة عن اللغة العربية والتعريب والترجمة ، ويأتي على رأس مؤلفاته : (التفسير البياني للقرآن الكريم) ، وفيه تناول كافة النواحي اللغوية في النص القرآن ، وكيفية الإفادة منها في استنباط الأحكام الشرعية .

ويُذاع هذا التفسير في الإذاعات العربية والإسلامية في العديد من الدول العربية . ويقع مكتوباً في ثلاثين مجلداً .

أما عن مؤلفاته في الدراسات الإسلامية واللغوية فكثيرة ، ومن أهمها :

أولاً : من الكتب الإسلامية :

١. الله والكون .
٢. النبي الخاتم – صلى الله عليه وسلم – .
٣. النساء الصحابيات .
٤. القيمة الإنسانية بين حضارتين .
٥. التعايش السلمي بين الأديان .
٦. المرأة ودورها الاجتماعي والوطني .

ثانياً : من الكتب اللغوية :

١. لغة القرآن والحديث .
٢. تجويد القرآن الكريم من منظور علم الأصوات الحديث .
٣. القراءات واللهجات من منظور علم الأصوات الحديث .
٤. الاشتقاق المنهجي عند اللغويين ، (رسالة الماجستير) .

٥. عبقري اللغويين أبو الفتح عثمان بن جني ، (وهو في الأصل رسالة الدكتوراه) .
٦. علم اللغة بين القديم والحديث .
٧. الصوتيات اللغوية . . . دراسة تطبيقية على أصوات اللغة العربية .
٨. العربية : خصائصها وسماتها .
٩. أبنية العربية في ضوء علم التشكيل الصوتي .
١٠. اللهجات العربية . . . نشأة وتطوراً .
١١. مناهج البحث في اللسانيات وعلم المعجم .
١٢. أصل العرب ولغتهم بين الحقائق والأباطيل .
١٣. علم الدلالة اللغوية .
١٤. مدى وفاء اللغة العربية بحاجات العلوم الحديثة .
١٥. الترجمة والتعريب .
١٦. المعجمات الحاسوبية .
١٧. انتشار اللغة العربية في مصر .

إلى غير ذلك من عشرات الكتب التي لا يتسع المقام لذكرها ومنها المطبوع ومنها ما هو تحت الطبع ، مثل تحقيق كتاب : " سر صناعة الإعراب : لأبي الفتح عثمان بن جنى " .

هذا ؛ في الوقت الذي ترك لنا العديد من الدواوين الشعرية في الشعر الإسلامي والوطني والاجتماعي ، ومنها :

١. ديوان الطريق إلى الله تعالى .
٢. ديوان نهج البردة (مسيرة شعرية على هدى بردة الصحابي الجليل كعب بن زهير – رضي الله عنه – .
٣. ديوان نهج البردة (مسيرة شعرية على هدي بردة الإمام الصوفي البوصيري) .
٤. ديوان بضعة منىّ (عن الأبناء والأحفاد) .
٥. ديوان عبق واستلهام (في الشعر الإسلامي والوطني والاجتماعي) .

رحم الله عالمنا الجليل ، بقدر ما قدم للإنسانية ، وأفادها من منبع علمه ، وفيض معرفته ؛ وأسكنه فسيح جناته مع الخالدين .

اللواء الركن / محمود شيت خطاب

قائد عظيم ووزير مخلص وكاتب بارع ومؤرخ عسكري حصيف

الدكتور غريب جمعة – جمهورية مصر العربية

(الحلقة الأولى)

كنت حديث التخرج في كلية الطب حين ذهبت لزيارة العالم الجليل الدكتور فضيلة الشيخ يوسف الشال سكرتير تحرير مجلة الأزهر ، وقد استقبلني الرجل استقبالاً طيباً ، ثم قال : عندي لك مفاجأة سارة اليوم . قلت : وما هي ؟ قال : هل تعرف اللواء الركن محمود شيت خطاب العراقي الجنسية ؟ قلت : أجل قال : إنه يجلس الآن مع فضيلة رئيس تحرير المجلة في مكتبه بين مجموعة من العلماء ، فهيا بنا لندخل إليهم ، وترددت في أول الأمر – لمعرفتي قدر نفسي بين هؤلاء الأعلام – ولكن الرجل أصرَّ على أن أدخل معه ، وعندما دخلنا صافحنا اللواء محمود وبقية الجالسين وكان الرجل في غاية التواضع المحفوف بالمهابة والوقار وتشعب الحديث إلى شعب كثيرة ، ولعل الرجل لاحظ ما في وجهي من الخجل فالتفت إلى الحاضرين . وقال : إن حضور مثل هذا الشاب بيننا أمر طيب – وإن كان أصغرنا سناً – لأن علينا أن نجتذب الشباب ونرعاهم حتى تتواصل مواكب الخير في أمتنا . والشاب الذي يحضر مثل هذا المجلس يستحق منا التقدير لأن أترابه يفتشون عن مجالس اللهو واللعب وغير ذلك مما تعرفون بحجة أنهم شباب ثم وجه كلامه إلى الدكتور يوسف وقال : أرجو أن تشرفني بالزيارة في مكتبي بمبنى الجامعة العربية على أن يكون معك هذا الشاب . . وتم ذلك والحمد لله .

وحينما أخبره الدكتور يوسف بأن لهذا الشاب ميولاً أدبيةً انفرجت أساريره وقال بابتسامة أبوية : لماذا لا تجعلها ميولاً أدبيةً إسلامية بكتابتك عن الإسلام ؟ وأقول لك يا بني : إن لم يعرفك القراء اليوم فسوف يعرفونك غداً ، فسِرْ على بركة الله وهو الذي يتولاك ويرعاك .

وكانت تلك النصيحة الغالية وذلك التوجيه السديد – وقد مضى عليهما ما يقارب أربعين عاماً . هما سبب ما تقرأه اليوم . أخي القارئ

لكاتب هذه السطور أسأل الله أن يجزي هذا العالم الجليل عني خير الجزاء .

وقد قصَّ الرجل علينا قصةً هي أغرب من الخيال (لكن تدبير الله لا يحيطه تصور ولا يحده خيال) . قال الرجل : " ذهبت في أحد الأعوام إلى حج بيت الله الحرام مع والدتي وبعد الانتهاء من مناسك الحج توجهنا إلى المدينة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية ، وكنت قد حجزت في أحد الفنادق فترة إقامة لمدة أسبوع وبعد يومين فوجئت باستدعاء عاجل من الحكومة والعودة إلى بغداد فوراً .

وذهبت إلى المسجد النبوي لأداء الصلاة ولكي أسلم على سيدي رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل سفري وعند خروجي من المسجد لاحظت حاجاً مصرياً يبدو عليه أثر النعمة وفي وجهة سيما الصالحين يشير إلى شخصي ويقول لزوجته التي ترافقه : هذا هو محمود . . . هذا هو محمود . . وتقدمت نحو الرجل وسألته لماذا يشير إليّ هكذا ؟ فقال لرجل : وقد غلبه البكاء . أنا تاجر مصري ثري من مدينة المحلة الكبرى بمحافظة الغربية بمصر جئت وزوجتي لحج بيت الله الحرام ، وقد انتهيت من مناسك الحج وجئت إلى المدينة ولكني فقدت كل ما كان معي من مال ويبدو أنه سرق وليس في جيبي ريال سعودي واحد . وقد دعوت الله في الروضة الشريفة بأدعية كثيرة ليفرج كربتي وقد كان من بين ما دعوت به : اللهم إن كنت تعلم أني خيبت رجاء أحد من عبادك قصدني في حاجته فخيب رجائي فيك يا أرحم الراحمين .

ثم أخذتني سنة من النوم فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يشير إليك بأنك ستحل مشكلتي وتفرج كربتي . فلم أتمالك نفسي من دموع الفرح وقلت : رسول الله صلى الله عليه وسلم يشير إلى شخصي . . .!! أي شرف هذا الذي خلعه عليّ ذلك النبي الكريم . وسألت الرجل : كم ستمكث بالمدينة المنورة ؟ فقال : خمسة أيام . قلت وأنا قد حجزت مدة أسبوع بفندق كذا وقد مكثت به يومين فقط وسأعود إلى بغداد لذلك يمكنك أن تأخذ مكاني بالفندق . ثم سألته كم يلزمك من المال حتى تعود إلى مصر عودة كريمة ؟ فقال : يلزمني مبلغ كذا . وقمت بحساب ما تبقى معي من النقود فإذا هو المبلغ الذي يريده ولم أعد في حاجة إليه .

ونظراً لأن رفقاء السفر كانوا يستحثونني على العودة إلى الفندق مسرعاً حتى لا يفوتني الباص ، فلم أسأل الرجل عن اسمه ولا عن عنوانه أما بالنسبة لي فكل ما يعرفه عني أن اسمي محمود .

ونسيت الرجل تماماً واعتبرت ذمته بريئةً من المبلغ عن طيب خاطر وسماحة نفس . ودارت الأيام دورتها ومرت عشر سنوات وذهبت لزيارة القاهرة كعادتي . وفي أحد أيام الجمعة ذهبت للصلاة في المسجد الذي سيصلي فيه صديقي الجليل الإمام الأكبر الدكتور عبدالحليم محمود شيخ الأزهر وبعد أن انتهينا من الصلاة وقف فضيلة الإمام الأكبر يدعو إلى التبرع لإنشاء مشروع إسلامي في منطقة محرومة من مثل هذه المشاريع وبدأ الإمام بنفسه فدفع ما أعانه الله عليه وتلوته بدفع كل ما كان معي وقلت : لا بأس سيحملني في سيارته حتى بيتي ثم بعد ذلك على الله التيسير والتدبير .

وما كدت أنتهي من هذا الخاطر إلا ورأيت رجلاً يشق الصفوف بصعوبة بالغة حتى وصل إليّ ثم عانقني بقوة عناقاً طويلاً ، وقال : أين أنت يا أستاذ محمود ؟ قلت : من الرجل ؟ قال : ألا تذكرني . . أنا الذي أكرمتني بشغل مكانك في الفندق ثم بالغت في إكرامي فأقرضتني من المال ما أعانني على العودة الكريمة إلى أهلي وأحبابي .

فسألته مندهشاً وما الذي أتى بك إلى هذا المسجد ؟ قال : إني لي ابنة متزوجة وتعيش في حي مصر الجديدة وقد جئت من بلدنا المحلة الكبرى لزيارتها ولابد من المرور بهذا الشارع لكي أصل إليها ولكن السيارة التي تقلني حصل بها عطل مفاجئ . فقلت للسائق : هيا بنا نصلي الجمعة في هذا المسجد ثم بعد ذلك نبحث عمن يصلح السيارة .

ولولا هذا العطل ما قابلتك . . إنني أبحث عنك منذ عشر سنوات وكلما جئت إلى القاهرة لزيارة ابنتي حملت مبلغك في جيبي ممنيا النفس بلقائك طيلة تلك السنوات العشر واليوم حقق الله رجائي فخذ مبلغك مشكوراً مأجوراً . إن شاء الله . فقد أحسنت . وابتسمت بيني وبين نفسي وقلت : الحمد لله الذي يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء . لقد أفرغت جيبي في بيته متوكلاً عليه حق التوكل . فلم يخرجني من بيته . جل جلاله . إلا وقد ملأ جيبي بأكثر وأكثر مما أفرغت منه . ولا عجب فله خزائن السموات والأرض وهو الرزاق ذو القوة المتين .

٤٨ / سنةً
في ظلال تربية الإمام العلامة أبي الحسن الندوي

(الحلقة الخامسة)

بقلم : سعيد الأعظمي الندوي
تعريب : الأخ معصوم علي الندوي

تأسيس المجمع الإسلامي العلمي :

ألف الشيخ الندوي كتاباً خلال هذه الفترة حول القاديانية تعريفاً بدسائسها في العالم العربي ، وسماه " القادياني والقاديانية " ، فتلقته يد القبول في الأوساط العلمية والدينية ، ولعب دوراً كبيراً في مقاومة القاديانية ، وإثبات الإيمان بختم النبوة على خاتم الأنبياء على صاحبها ألف ألف تحية وسلام .

ثم التفت إلى فتنة أكبر من أختها ، وردة تغزو العالم الإسلامي بلمعانها ، وكانت هذه الردة تتسرب إلى المثقفين من المسلمين باسم الحضارة الغربية ، وأصبح الناس غافلين عن الشريعة الإسلامية وأسلوب حياتها ، وأصبحوا فريسة لهذه الحضارة ، فكتب الشيخ الندوي مقالاً بعنوان " ردة ولا أبا بكر لها " ، صدرت هذه المقالة في المجلة العربية الشهيرة " المسلمون " ونُشرت حلقتها الثانية باسم " دعوة جديدة " في نفس المجلة .

وكان لهذا الوضع أثر عميق على الشيخ الندوي ، ونتيجةً لذلك تم تأسيس المجمع الإسلامي العلمي . ونذكر هنا ما كتب الشيخ حول هذه القضية لنكون على بينة من الأمر :

" سافر صديقنا الأستاذ سعيد رمضان – الذي كان يصدر مجلة " المسلمون " بدمشق عام ٥٨ – ١٩٥٩م – إلى ألمانيا للحصول على شهادة الدكتوراة ، فطلب مني أن أكتب افتتاحيات المجلة أثناء غيبته ، فكتبت الافتتاحيات لعدة شهور ، وكان أول افتتاحية منها بعنوان " ردة جديدة " نبهت فيها إلى ردة جديدة تكتسح العالم الإسلامي اليوم ، وهي ردة جاءت مع زحف أوروبا السياسي والحضاري على الشرق الإسلامي ،

وإنها أعظم ردة حدثت في التاريخ الإسلامي من عهد النبوة إلى عصرنا هذا ، إنها " ديانة " اللادينية والإلحاد التي أثرت على ما لا يحصى من أفراد الطبقة المثقفة من المسلمين ، ولكن بالعكس من حركات الردة وتياراتها الماضية ، إن من يقع في أسرها وينكر بديهيات الدين وحقائقه لا يذهب إلى معبد أو كنيسة ، ولا يعلن تغييراً لديانته ، ولا ينتبه مجتمعه الإسلامي إلى خطره ، ولا يحسب له حساب ، ولا يعامل بالمقاطعة والفصل من المجتمع كما كان يعامل المرتدون السابقون .

والحقيقة أنه لفت نظري إلى هذه الفكرة ودفعني إلى الاهتمام بها مقال الدكتور رفيع الدين أحمد [1] ، فأخذت هذه الفكرة الأساسية ، وشرحتها وفصلتها في هذا المقال ، وذكرت سر انتشار اللادينية العالمي ، وكشفت النقاب عن أهم مظاهرها ، ثم ركزت على طرق علاجها من دعوة قوية جديدة ، وإيمان راسخ ، والحاجة إلى مؤسسات علمية ، وإعداد المكتبة العصرية الإسلامية ، مع مراعاة العقلية الجديدة ، وصورت الوضع الهائل الخطير الذي يواجه العالم الإسلامي ، وقد نشر هذا المقال في حلقتين بعنوان " ردة جديدة " و " دعوة جديدة " في مجلة " المسلمون " وهو الذي صدر فيما بعد في رسالة مستقلة بعنوان " ردة ولا أبا بكر لها " ، صدرت في مجلات مختلفة ، ومن مؤسسات عديدة في أعداد كبيرة ، ووُزِّعت في منى وعرفات ، ولعل أي مقال أو رسالة للمؤلف لم يصدر في هذا العدد ، وأثر هذا التأثير ، كما صدرت هذه الرسالة وتركت تأثيرها الكبير .

وأحسست بشدة بعد كتابة هذا المقال بضرورة إقامة مجمع علمي لمقاومة هذه الردة العقائدية والحضارية والفوضى الفكرية والخلقية ، يتحمل هذه المسؤولية ويتفرغ لهذا الموضوع ، وأخيراً تأسس هذا المجمع في مايو عام ١٩٥٩م باسم : " المجمع الإسلامي العلمي " بتبرع أحد أصحاب الخير بألف روبية ، ونشر المجمع أول كتاب باسم " مقالات السيرة " للدكتور محمد آصف القدوائي ، وقد بلغ عدد منشورات المجمع إلى هذا الحين قرابة مأتين ، ويمكن أن يقال : إنه ليس هناك مؤسسة في شبه

[1] رئيس مجمع إقبال في كراتشي ، ومن كبار رجال التربية في العالم الإسلامي .

القارة الهندية أخرجت في اللغة الإنكليزية على الأقل كتباً علميةً دعويةً بهذا العدد وهذا المستوى العلمي المتقدم حول الدين الإسلامي ، والشريعة الإسلامية ، والعقائد والأركان ، والحديث والسنة ، والسيرة الطيبة ، وحياة الخلفاء الراشدين ، وتاريخ الإصلاح والتجديد ، والتعريف بالأعمال البنائية والخيرية التي تمت على أيدي المسلمين في الهند ، وقد نالت هذه الكتب – بفضل الله تعالى – رواجاً وقبولاً في أوروبا وأمريكا وجنوب إفريقيا والبلدان العربية ، وقد تحقق كل ذلك بمحض التأييد الإلهي وبثروة قليلة وإدارة صغيرة وموظفين قليلين محدودين ، من الصعب أن يتصوره الزائر ويستيقنه "[1] .

وإن المجمع الإسلامي العلمي لا يزال يواصل سيره في نشر الفكر الإسلامي باللغات الأربع ، وقد بلغت مجموعة مؤلفاته المطبوعة إلى أربع مأة مؤلف ، ويرأسها الآن سماحة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي ، كما كان الأستاذ السيد محمد واضح رشيد الحسني الندوي والأستاذ السيد محمد حمزة الحسني سكرتيراً له ، وكنت عضواً في هذا المجمع إلى مدة لا بأس بها ، كما كان الطبيب محمد اشتياق حسين القريشي قد ساهم في توسعة نطاق المجمع إلى مدة .

قضية الحفاظ على إيمان الجيل الجديد :

بعد عودة الشيخ الندوي من رحلته لبورما ركز عنايته على قضية كانت من أهم القضايا الفاصلة بين الموت والحياة فيما يتعلق بالشعب الإسلامي الهندي بعد استقلال الهند ، وكانت قضية بقاء المسلمين وجيلهم الجديد على العقائد الإسلامية ، والإيمان بالحقائق الدينية ، وشخصيتهم الملية وكيانهم الخاص ، التي كان خطرها وأهميتها الكبيرة بعد قيام الدولة العلمانية (اللادينية) في الهند ، فإنه لم يكن من مسئوليات الحكومة أن تنظم التعليم الديني للأطفال المسلمين ، وكان من اللازم – دستورياً وقانونياً – أن تكون هذه المعاملة على قدم المساواة مع جميع الفرق الموجودة في الهند ، ولكن لصلة مسئولي الحكومة بطبقة الأكثرية كان من العسير جداً بطبيعة الحال أن تقف

[1] في مسيرة الحياة ، ج ١/ ٢٧١ .

الحكومة موقف المساواة .

ثم إن التجارب المريرة عن المسلمين ، أو الشعور بالمرارة عن ماضي المسلمين وقيام باكستان ، وحركة إحياء الديانة الهندوسية (Revivalism) والعقلية الهندوسية لواضعي المناهج والمقررات العلمانيين ، كل ذلك زاد الأمر سوءً وتعقيداً ، وكان من نتيجته أن ظهرت بعد التقسيم فوراً دروس صريحة في الكتب الابتدائية المقررة عن الديانة الهندوكية وفلسفتها ، وقصص شركية خرافية من المثالوجية الهندية ، وبدا للعيان أنه لو استمر الحال على ذلك لكان الجيل الجديد من الملة الإبراهيمية والأمة المحمدية فريسة الجهل بالتوحيد الخالص أو الانحراف عنه ، والتأثر والاعتقاد بالعقائد الشركية والكفر الصريح .

فكانت الحاجة ماسةً إلى إقامة حركة تعليمية يقاوم هذا الفساد ، وكان القاضي محمد عديل العباسي من أول من أدرك على هذا الخطر في طلاب المدارس الابتدائية لمديريته ، وغلب عليه هذه الفكرة فكان يتقلب على الفراش تقلب السليم ، وعزم على تغيير الوضع وإصلاح المقررات ، والتقى من كبار العلماء في هذا الشأن خاصةً من الشيخ الندوي ، وطلب منه المساعدة على هذا العمل ، ولنترك المجال للشيخ الندوي يعرب عن هذا الخطر :

" وقد تنبه أولاً إلى هذا الخطر بصورة واضحة ملموسة الأستاذ محمد عديل العباسي المعروف بقاضي عديل عضو المجلس التشريعي للولاية الشمالية سابقاً ، وأحد أنصار المؤتمر الوطني الهندي (Congress) والعاملين في مجال حركة التحرير والخلافة ، وكان عضواً بارزاً في مديرية بستي ، ورئيساً للجنة التعليم والتربية فيها زمناً غير قصير ، فاستطاع عن طريق هذه الفرص والاتصالات المباشرة ، والاطلاع على المشاريع والمخططات التربوية ، وقلبه الإسلامي الحساس أن يتفطن للخطر الداهم لمستقبل الأجيال المسلمة الصاعدة ، وما يتبع ذلك من صياغة غير إسلامية ، وردة فكرية عقائدية حضارية ، وملك ذلك فكره وقلبه ومشاعره ، ووهب كل طاقاته وصلاحياته العقلية والفكرية لهذه القضية وركزها عليها ، وبقي زمناً غير يسير يعمل في حدود مديريته في مقاومة هذا الخطر وإقامة المدارس والكتاتيب في دأب وصمت ، ولما وضحت لنا

هذه القضية بأبعادها ، ألححنا أنا والشيخ محمد منظور النعماني وبعض الأصدقاء الآخرين على القاضي عديل بأن يخرج من هذه الدائرة المحدودة ، ويقوم بالجهد على نطاق الولاية .

واقتنع القاضي بحديثنا ورضي بذلك ، وعقد في ٣٠ – ٣١/ ديسمبر ١٩٥٩م ، ١/ يناير ١٩٦٠م مؤتمراً دينياً للولاية بمدينة بستي ، ودعا إلى المشاركة كبار المثقفين المسلمين ، والمهتمين بالقضايا التعليمية ، والعاملين في المجال القومي والاجتماعي ، ورؤساء المنظمات والمؤسسات الإسلامية ، لا من ولاية أترابرديش فحسب ، لا من خارج هذه الولاية أيضاً ، وقد دعيت لرئاسة هذا المؤتمر الأول ، كما اخترت لرئاسة الهيئة أيضاً ، وكتبت كلمة الرئاسة على عجل في القطار وقد طبعت ونقلت إلى الإنكليزية في لغة رشيقة ، ويحتل هذا المؤتمر وهذا الخطاب مكان معلمة في الطريق ، ولا يمكن أن يغفله أي مؤرخ منصف لقضايا المسلمين الأساسية ، وشخصيتهم التعليمية الحضارية في الهند ، ولعله ليست هناك بعد حادث التقسيم حركة أو حركتان بدأتا كهيئة التعليم الديني على أساس قضية خطيرة ذات أهمية مصيرية كبيرة "[1] .

وظل الشيخ الندوي رئيس الهيئة طول حياته ، فتعقد جلساتها على مستوى الولاية ، ويحضرها نخبة من العلماء والمثقفين ، وقد كانت للمحامي ظفر أحمد الصديقي والأستاذ محمود الحسن والطبيب محمد اشتياق حسين القريشي والدكتور نفيس أحمد جهود مشكورة في توسعة نطاق هذه الهيئة ، وبعد وفاة الشيخ الندوي انتخب سماحة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي رئيساً للهيئة ، كما انتخبت أنا نائب الرئيس للهيئة ، ولا تزال الهيئة تعمل عملها في مجال التعليم الإسلامي والديني ، ندعو الله لها الاستمرارية .

ويتقلد الآن مسئولية الأمانة العامة للهيئة الدكتور مسعود الحسن العثماني ، وهو الذي أصدر عدة مؤلفات حول تاريخ الهيئة باللغة الأردية باسم : تكبير مسلسل (مجموعة خطب الإمام الندوي للهيئة) وتحرير بى عديل (تاريخ مسهب للهيئة) ومجموعة خطب العلماء والمثقفين الذين رأسوا حفلات الهيئة .

---

[1] في مسيرة الحياة ، ج ١/ ٢٧٤ .

ملامح التكرير في " الأيام " لطه حسين

الباحثة بشرى أمين (لكناؤ)

شأن البلاغة شأن سائر العلوم العربية والإسلامية وأثرها على مناهج اللغة العربية ، والبلاغة تضم جوانب كثيرة من الموضوعات الخاصة بها ، ومنها التكرير من نوع الإطناب .

التكرار/التكرير : هذا النوع من علم البيان ، وهو : ذكر الشيئ أكثر من مرة واحدة ، وربما اشتبه على أكثر الناس بالإطناب مرة ، وبالتطويل أخرى .

أنواع التكرير : قسم ابن الأثير الحلبي التكرار إلى قسمين هما :

(أ) يوجد في اللفظ والمعنى ، مثل " أسرع أسرع " .

(ب) يوجد في المعنى دون اللفظ ، مثل : " أطعني ولا تعصني " ، فإن الأمر بالطاعة هو النهي عن المعصية " [1] . فصار عندنا معنيان : معنى نحوي أساسي طلبة النحويين ، ومعنى مقامي بلاغي طلبة البلاغيين ، وهذا هو المراد هنا .

أغراض التكرير : وقد عرف علي أنه : " ذكر الشيئ مرتين أو أكثر " ، وأورد البلاغيون أغراضا كثيرة للتكرير ، نورد منها :

(أ) تأكيد الإنذار وتقرير المعنى في النفس : كقوله تعالى : (كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ . ثُمَّ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ) [2] ، فالآية الأولى (كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ) فيها زجر وإنذار لمن ألهاهم التكاثر عن الدار الآخرة والسعي لها ، والآية الثانية (ثُمَّ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ) تأكيد لها الإنذار ، وهذا هو غرض الإطناب بالتكرير في هذا الموطن وأمثاله .

(ب) الترغيب في النصح باستمالة قلوب المخاطب : كقوله عز وجل: (وَقَالَ ٱلَّذِيٓ آمَنَ يا قَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ . يا قَوْمِ إِنَّمَا هَـٰذِهِ ٱلْحَيَاةُ ٱلدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ ٱلآخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلْقَرَارِ) [3] ، ففي تكرار (يا قَوْمِ) استمالة للقلوب [4] .

---

[1] ابن الأثير ضياء الدين ، المثل الثائر في أدب الكاتب والشاعر ، دار النهضة مصر لطبع والنشر ، ج ٣ ، ص ٢٥ .

[2] سورة التكاثر ، الآية ٣ – ٤ .

[3] سورة غافر ، الآية ٣٨ – ٣٩ .

[4] أحمد قاسم محمد ، محي الدين ديب ، علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني ، ط ١ ، ٢٠٠٣م ، ص ٣٦٣

(ج) الحثّ على شكر نعمة من النعم : كقوله تعالى : (فَبِأَيِّ آلآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) [1] ، التي كرّرت في السورة واحداً وثلاثين مرّةً باللفظ نفسه ، حثاً للجنّ والإنس على وجوب شكر نعم الله التي لا تُعد ولا تُحصى .

(د) التحسر : كقول الشاعر الحسين بن مطير يرثي معن بن زائدة :

فيا قبر معن أنت أوّل حفرة ... من الأرض خطت للسماحة مضجعا
ويا قبر معن كيف واريت جوده ... وقد كان منه البرّ والبحر مترعا

فالعرض من تكرار عبارة (يا قبر معن) هو إظهار الحسرة والأسى على معن بن زائدة .

(هـ) طول الفصل : وهو تكرار الكلام لداعي الإطالة ؛ يعني أن يأتي في بداية الكلام لفظ ثمّ بعده يأتي كلام طويل مرتبط به ، ويحدث هذا كثيراً في أحاديث الناس ؛ لأنّ طول الفصل قد ينسى السامع ما كان فيه المتكلم ، فيكرّر العبارة لربط الكلام السابق باللاحق ، ومن الأمثلة على هذا النوع : (وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يٰمُوسَىٰ . قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ) [2] ، ومثاله قوله تعالى : (لاَ تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوْاْ وَّيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُواْ بِمَا لَمْ يَفْعَلُواْ فَلاَ تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) [3] . فكرّر (فَلاَ تَحْسَبَنَّهُمْ) لطول الفصل بين الأوّل ومتعلّقه وهو بمفازة من العذاب .

وذاك خشية من أن يكون الذهن قد غفل عمّا قيل في بداية الكلام . (فَلاَ تَحْسَبَنَّهُمْ) لطول الفصل بين الأوّل ومتعلّقه ، وهو بمفازة من العذاب ، وذلك خشية من أن يكون الذهن قد غفل عمّا قيل في بداية الكلام [4] .

(و) التلذذ بذكره : مثل كقول مروان بن أبي حفصة :

سقى الله نجداً والسلام على نجد ... ويا حبذا نجد على القرب والبعد [5]

نبذة من حياة طه حسين :

ناقد مصري أديب وروائي وباحث طه حسين الذي لقب بعميد

---

[1] سورة الرحمن ، الآية ١٣ .
[2] سورة طه ، رقم الآية ١٧ – ١٨ .
[3] سورة آل عمران ، الآية ١٨٨ .
[4] عبد العزيز عتيق ، علم المعاني في فلسفة البلاغة العربية ، الإسكندرية ، منشورات كلية الآداب – جامعة الإسكندرية : ص ٣٢٣ .
[5] فيصل حسين طحمير العالي ، البلاغة الميسرة في المعاني والبيان والبديع ، ط ١ ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، عمان : الأردن ، ١٩٩٥م ، ص ١٩٤ .

الأدب العربي ، رغم أنه فقد بصره لكنه أضاء العالم من حوله بكتاباته ، اسمه الكامل طه بن حسين بن علي بن سلامة ، عاش من عام ١٩٨٩م إلى ١٩٧٣ من الميلاد ، أمه رقية وأبوه حسين بن علي ، إنه دخل الأزهر في عام ١٩٠٢م من الميلاد للدراسة الدينية واللغوية بها ، وبقي به حتى عام ١٩٠٨م . وأعجب هناك بالشيخ سيد علي المرصفي . ولزم دروسه التي كان يقرأ فيها " الكامل " للمبرد و " الأمالي " لأبي علي القالي و " الحماسة " لأبي تمام ، فلما فتحت الجامعة المصرية أبوابها من عام ١٩٠٨م من الميلاد (التي أصبحت جامعةً حكوميةً من عام ١٩٢٥م) ، فالتحق بالجامعة . كان طه حسين أول المنتسبين إليها ، وبقي فيها من عام ١٩٠٨م إلى ١٩١٤م من الميلاد ، حين تقدم برسالته عن ذكرى أبي العلاء ، وكانت أول رسائل الدكتوراه في الجامعة المصرية . ثمّ التحق بالجامعة مونبلية في أوروبا حيث درس الأدب الفرنسي ، واللّغات الفرنسية واليونانية واللاتينية [١] . حيث نال الدكتوراه الثانية في الفلسفة على رسالته ، فلسفة ابن خلدون الاجتماعية ، ونال شهادة الدراسة العليا في التاريخ ثم عاد إلى مصر وتولى التدريس بالجامعة المصرية من عام ١٩٢٥ من الميلاد . ويتوزع إنتاجه الثري والمتنوع بين الدراسات والتأليف القصصي عنده إلى تخييلي ومرجعي .

ومن بين كتبه التي اشتهر بها طه حسين نجد كتاب " الأيام " الذي يتمحور حور سيرته الذاتية التي لاقت انتشاراً واسعاً من طرف الملتقين ، وهي قصة جميلة حياتية موضوعية ، تتسم بالتواضع والاعتراف بالأخطاء والصبر على مصائب الحياة .

توفي طه حسين في عام ١٩٧٣م عن عمر ناهز ٨٤ عاماً .

ملخص الأيام (الجزء الأوّل) :

الأيام أشهر كتب السيرة الذاتية في القرن العشرين الميلادي ، كتاب عن أيام أتت وولّت على طه حسين يسردها في هذا الكتاب ليقص بها قصة حياته : طفولته وقريته حتى بزوغ نجمه ، فيه الكثير من الكفاح والحزن ، ويشتمل هذا الكتاب على ثلاثة أجزاء ، تضمن الجزء الأول تصويراً لطفولته المعذبة التي عاشه فيها . وتناقش أيضاً عن الجهل في الريف المصري في الماضي والعادات والتقاليد الحسنة والسيئة في ذلك الوقت ، على الرغم من أنه فقد بصره وانطوى على ذاته إلا أنه لا يزال

[١] أمين ، أحمد ، حياتي ، (مقدمة الكتاب) ، مكتبة إحسان ، لكناؤ ، ص ٩ .

يمتلك البصيرة التي جعله يشعر بما حوله بأحاسيسه الدقيقة . وهو يتحدث لنا أحداثاً ممتعة عن ذكريات بيته ووالده وأسرته وأساتذته في الكتاب والمساجد وحلقات الذكر وغيرها في أسلوب جذاب مختلط بالسخرة الحادة عن عادات مصر في ذلك الوقت .

أما خصائص طه حسين في رواية السيرة الذاتية : فهي : مخاطبة القارئ ومجادلته والتأثير فيه ، والإيقاع الموسيقى الناتج عن الجمل القصيرة ، ويتحدث بضمير الغائب ، وليس المتكلم ليتحاشى موقف المعلق والمفسر من زاوية الصبي وحده بتلوين صورة تلائم التطور النفسي والعقلي للطفل ، واعتماده على حواس غير البصر ، مثل السمع ، ويكثر في أسلوبه الإطناب والاستطراد وأفكاره تعتمد على التحليل والاستقصاء .

التكرير ومظاهره في الأيام (الجزء الأول) :

(١) " لا يذكر لهذا اليوم اسماً ، ولا يستطيع أن يضعه حيث وضعه الله من الشهر والسنّة ، بل لا يستطيع أن يذكر من هذا اليوم وقتاً ، وإنما يقرّب ذلك تقريباً " [١] . يقول مؤلف الكتاب في هذه الجملة أنّه لا يمكن له أن تقرر هذا اليوم كما يحدد الله تعالى الأيام والأشهر وغيرها ، إنما يقرّب لذلك تقريباً فقط . لا يحتاج هنا زيادة اللفظ ، لأنّ الجملة " لا يذكر لهذا اليوم اسماً " كامل المعنى ، لكن الكاتب أراد أن يوّكد أكثر .

(٢) " إذا كان قد بقي له من هذا الوقت ذكرى واضحة بينة لا سبيل إلى الشك فيها فإنما هي ذكرى هذا السياج الذي كان يقوم أمامه من القصب والذي لم يكن بينه وبين باب الدار إلا خطوات قصار ، هو يذكر هذا السياج كأنّه رآه أمس ، يذكر أن قصب هذا السياج كان أطول من قامته . . . قصب هذا السياج . . . السياج . . . " [٢] . كرر الأديب اللفظ " هذا السياج " أكثر من مرة وبنفس المعنى ، فدلالة السياج هنا وعلى حسب التأثير النفسي الذي تركته في نفسية الأديب تدل على السجن ، فيكتشف القارئ أو المتلقي لهذه العبارات أن الروائي يعمد التكرار ليؤكد المعنى ويقويه أكثر ويوضح للمتلقي أن فقدانه للبصر بمثابة سجن مظلم إضافة إلى غرض الاسترجاع والتذكير بالألم والحبس والحزن والتحصر والأسى في نفس الكاتب .

---

[١] حسين ، طه ، الأيام ، مكتبة إحسان ، لكناؤ ، مايو ٢٠١٠م ، الجزء الأوّل ، ص ٣ .

[٢] المرجع نفسه ، ص ٤ .

(٣) " ولم يكن هذا الماء نقيّاً دائماً ، ولم يكن هذا النوع من ريٍّ الظمأ ملائماً للصحة ، فانتهى به الأمر إلى أن أصبح ممعوداً ، وما استطاع أحد أن يعرف لذلك سبباً " [١] . غرض التكرير في هذه الجملة طول الكلام والتأكيد على القارئ ، و " لم يكن هذا الماء نقياً دائماً " ، هو نفس المعنى في قوله : " لم يكن هذا النوع من ريٍّ الظمأ ملائماً للصحة . . . " .

(٤) " وبينما كان صاحبنا يرشو ويرتشي ، ويَخدع ويُخدع ، كان القرآن يمحي من صدره آية آية ، وسورة سورة ، حتى اليوم المحتوم . . . ويا له من يوم ! . . . " . ففي هذا المثال تكررت عدة ألفاظ لكن بمعنى متحد فمثلاً " آية ، آية ، وسورة ، سورة ، يوم ، يوم " ، فطه حسين بتكراره قد أشار وبّين صفات في صاحبه تكمن في الرشوة والخداع ، وهذا ما جاء القرآن يمحي من صدره وهذا النوع من التكرار غرضه شدة التوضيح بالمهجو وتوكيد الكلام في هذا الموضع .

(٥) " وهو ينتظر أنّ تدور به الأرض وينشقّ له الحائط ، ويمثل الخادم بين يديه ، ولكنّ شيئاً من ذلك لم يكن . وخرج الصبيّ إلى صاحبه هادئاً مطمئناً فأخبره أن قد دارت الأرض وانشقّ الحائط ومل الخادم بين يديه وسمع منه حاجته " [٢] . غرض الكاتب من هذا التكرار في قوله هو توضيح المعنى أكثر على القارئ وتأكيده .

(٦) " وأخذ الصبيّ يقرأ القرآن على المفتش من أوله ، وأخذ المفتش يعلّمه مواضع الوقف والوصل . وأخذ الصبيّ يقلّد المفتش في ترتيله يحاكي نغمه ، وأخذ يقرأ القرآن على هذا النحو في الكُتّاب " [٣] . غرض الأديب من هذا التكرار هو توضيح المعنى والتأكيد أكثر .

(٧) " وما هي إلاّ أن استحال الحديث إلى لعبٍ ، إلى لعب كلعب الصِّبيان لا أكثر ولا أقلّ ، ولكنّه كان لعباً لذيذاً " [٤] . في هذه الجملة غرض الكاتب بتكرير اللفظ " لعب " هو تقرير المعنى في نفس القارئ .

هنا نختتم بالقول في الأخير أنّ طه حسين كان رجلاً أعمى ، فلم يكتب سيرته الذاتية بنفسه لكنّه أملاها ، ولم يستطع قراءة ما يمليه عليه ، لذلك هناك توجد كثير من تكرار الجمل والألفاظ في سيرته الذاتية " الأيام "

[١] المرجع نفسه ، ص ٢٣ – ٢٤ .
[٢] حسين ، طه ، الأيام ، مكتبة إحسان ، لكناؤ ، مايو ٢٠١٠م ، الجزء الأوّل ، ص ١٢٠ – ١٢١ .
[٣] المرجع نفسه ، ص ١٢٢ .
[٤] المرجع نفسه ، ص ١٢٥ .

صياغة الأذهان أولى وأهم من صياغة القرارات

محمد فرمان الندوي

يولد الإنسان مرتين :

سيرة الإنسان وسلوكه تنشأ من عاملين رئيسين : البيئة التي يجدها الإنسان في بيته من الوالد والوالدة والإخوة والأخوات ، فهم يشكّلون ذهنه ويصوغون فكره ونظرته إلى الحياة ، يولد الولد خالي الذهن وفارغ الوفاض ، فإما يملؤه أهله بالإيمان والحنان ، أو بالكفر والعصيان ، والعامل الثاني لتشكيل السيرة هي المدرسة التي يتعلم فيها الطفل ، فيقلّد كل ما رآه أو سمعه من الآخرين ، وينسجم مع كل ما يوافق هواه وطبيعته ، فإنه يجعل الأستاذ مثالاً وقدوةً ، فيتأثر بمؤهلاته وصفاته ، وينطبع منها ، وقديماً قال العرب : " يولد الإنسان مرتين : مرةً حينما تلده أمه ، ومرةً حينما يعلّمه أستاذه " . وقال الإمام الغزالي : " غذاء القلب العلم والحكمة ، وبهما حياته ، كما أن غذاء الجسد الطعام ، ومن فقد العلم فقلبه مريض وموته لازم " . (إحياء علوم الدين : ج ١/ ٣٠) .

فالتعليم أداة فعالة لصياغة الأذهان ، وهو حجر الزاوية في بناء الإنسان ، والعمود الفقري الذي يقوم عليه الجسم الإنساني ، وقد اعتبره المعنيون بالتعليم بغذاء العقل الإنساني ودوائه ، فهو يقضي على أدواء الجهل والخرافة ، ويملؤ الإنسان قوةً وحماساً ، وكلما اختار الإنسان التعليم ، والتزم به كان مفعماً بروح الموضوعية والشعور بالمسئولية ، أما الإسلام فكان في دعائمه التعليم والتربية ، وأول إنسان خلق على هذه الأرض كان فضله وكرامته بالعلم والمعرفة ، وقام كل نبي بعملية الإصلاح والتوجيه في ضوء وحيه الذي أوحاه الله تعالى إليه ، وأخيراً بعث نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، فبدأ بعثته بالعلم والمعرفة ، وتعليم الإنسان ما لم يعلم ، وكان منهجه صلى الله عليه وسلم للتعليم يدور حول تلاوة الكتاب ، وتعليمه وتعليم الحكمة ، وتزكية النفس .

ظل هذا التعليم مصدر إشعاع روحي ومادي للأمة الإسلامية ، وكان من أهم أسباب نهضة المسلمين ، فبالعلم صار المسلمون أرقى الأمم والشعوب على مر التاريخ ، وقد تركوا الأمم المتمدنة الماضية وراءهم في كل شيئ ، حتى امتدت دوائر حكمهم إلى مناطق شاسعة من القارات الأخرى ، وقد عبَّر عن سعة هذه المساحة الأرضية الخليفة العباسي مخاطباً قطعة من السحاب : " أمطري حيث شئت ، فسيأتيني خراجك " . وكانت أوربا في هذه العهود في غفلة من النوم ، وقد مرت بأوربا ثلاثة أدوار : من القرون المظلمة والقرون الوسطى وعهد النهضة ، وكانت في عهديها الأولين بعيدةً عن العلم والمعرفة ، لا تحمل علماً ومعرفةً ، ولا تملك حضارةً ولا مدنيةً ، ثم سيطرت عليها الكنيسة ، وهي التي فرَّقت بين الدين والدنيا ، وكانت مؤسسةً على الرهبانية ، فعاقبت كل من مال و ركن إلى العلم والمعرفة ، لكن سرعان ما انكسر هذا الطلسم ، وكان هذا العهد بالنسبة إلى المسلمين عهد الإسلام الزاهر ، الذي بلغ فيه التعليم الإسلامي ذروته ، فنشأ فيه العلماء والمحدثون والفقهاء ، والشعراء وعلماء الطب وعلماء الطبيعة ، والمهندسون الإسلاميون ، والنبغاء في كل علم وفن ، فاقتبست أوربا من أرض الأندلس هذه القبسة العلمية ، وبنى عليها حياتها العلمية ، وما زالت تتطور وتتقدم حتى نالت هذا الازدهار المدهش المحيِّر للعقول والألباب ، لكن يا لسوء حظ أوربا أنها أخذت القشور ، وتركت اللباب ، بحيث أخذت ظاهر العلوم ، وتركت باطن العلوم وهي التقوى والخشية لله تعالى ، ففي الظاهر توجد هناك مدنية وحضارة ، ورونق وبهرجة ، وإن كانت هذه المدنية تركن اليوم إلى السقوط ، ولكنها عاشت في ماضيها في ظلمة وسواد حالك وقتل وتشريد ، وظلم واعتداء ، وغارة على الإنسانية وفتك ببني آدم ، ظاهره فيه الرحمة ، وباطنه من قبله العذاب .

دعاة التغريب في العالم الإسلامي :

رأى العالم الإسلامي هذه البهرجة الظاهرة لأوربا فسُحر بها ، وأعجب بها رجاله ، وبدأوا يرحلون إلى أوربا في بداية القرن العشرين

الميلادي ، فنهلوا من مناهلها ، ودرسوا فلسفاتها المادية ، وقد رجعوا إلى أوطانهم ، وقد تغيرت اتجاهاتهم ونظراتهم ، فجعلوا ينظرون إلى كل شيئ بنظرة الغرب ، وبدأوا يدعون أهل الشرق إلى التقليد الأعمى للغرب وتلمذته ، وقد سبقت إلى ذلك مصر الكنانة ، فرحلت بعثات ووفود في زمن محمد علي الخديوي ، وكان أول من رحل إلى أوربا هو رفاعة بك الطهطاوي ورفاقه ، ثم طه حسين وأصدقاؤه ، يقول طه حسين في إحدى كتاباته السخيفة : " إن من السخف الذي ليس بعده سخف اعتبار مصر جزءاً من الشرق ، واعتبار العقلية المصرية عقلية شرقية كعقلية الهند والصين " (مستقبل الثقافة في مصر : ٣٢) ، ومن تبعات التعليم الغربي على العالم العربي أنه قد نشأ فيه دعاة التجديد أو التغريب ، فهم يعرفون بمتنوري الفكر والذهن ، وتوجد أمثلته كثيرة في العالم العربي بوجه خاص ، فإن هؤلاء الدعاة كانوا عملاء للغرب ، وسماسرته ، ومن بينهم مصطفى كمال الذي ذهب بتركيا المؤمنة المجاهدة الحاكمة على ثلاث قارات إلى زمن طويل إلى تركيا الغربية الملحدة ، فقد تغنى مصطفى كمال بالتغريب ، ودعا إلى محو كل أثر من آثار الإسلام من أرضها ، وتجاوب مع كل نداء غربي ، فذاب هذا الرجل العميل كالشمعة نحو اللادينية ، وفقد وجوده .

لكن أنجب شبه القارة الهندية في العهد الأخير شخصيتين بارزتين من أسرة مسلمة ، تعلمت كلتاهما في أتون الحضارة الغربية ، واكتوتا بنار نظام التعليم الغربي ، لكنهما خرجتا من بحر التعليم الغربي سالمتين ، بل جاءتا بدرر ولآلي ، إنهما لم تتصهرا في بوتقة أوربا ، كما انصهر آلاف من معاصريهما في العالم العربي ، إحداهما الدكتور محمد إقبال خريج كمبردج (توفي ١٩٣٨م) الذي قال في إحدى قصائده : إن نظام التعليم الغربي مؤامرة على الدين والخلق والمروءة، وهو يقول : يشهد الله أني كنت في ذلك مقلداً لإبراهيم ، فقد خضت في هذه النار واثقاً بنفسي ، وخرجت منها سليماً محتفظاً بشخصيتي ، وأخراهما الشيخ محمد علي جوهر خريج أكسفورد (توفي ١٩٣٠م) الذي لم يكن عالماً دينياً ، بل

كان مثقفاً بالثقافة العصرية ، درس في كلية لنكن بأكسفورد ، لكن حماسته الإيمانية وعاطفته الجياشة نحو إحياء مجد الإسلام لم تفترا ولم تضعفا ، وظل مجاهداً ثائراً على نظام الكفر والشرك ، فأنشأ حركة الخلافة العثمانية في الهند ، وخاض في كفاح الهند ، ودوى صوته الحماسي المجلجل في المؤتمر المستدير بلندن ، وقد فاضت روحه إلى بارئها ، ونقل إلى جثمانه إلى أرض القدس ، غفر الله له .

أربعة عناصر لصياغة الأذهان :

كان التعليم في كل زمان مكوناً من أربعة عناصر : الأساتذة ، والطلبة ، والمناهج التعليمية ، ونظام التعليم ، فالأساتذة هم المربون والمعلمون للطلبة ، والطلبة هم الدارسون للعلوم والفنون ، والمناهج التعليمية هي الكتب والموضوعات التي تختص بأي مرحلة من المراحل ، ثم الهيئة الحاكمة التي ترتب هذه النظم على أحسن صورة ، فصلاح هذه العناصر روح هذا التعليم ، وإذا فسد أو فقد جزء من هذه العناصر جاءت النتيجة خلاف ما يُرجى ، فلا بد من إيجاد هذه العناصر في أتم صورة ، إن التعليم كان في قديم الزمان شرفاً عظيماً ، ومفخرةً جليلةً ، إذا تعلم شخص شيئاً ، أو تخصص في فن من الفنون يُشار إليه بالبنان ، ويُدعى إلى الحفلات والجلسات ، ويقوم له الناس مبجلين محترمين ، وتُفرش لاستقباله الأوراد والرياحين ، لكن تغير الآن المقياس ، وبدأ الناس يتعلمون العلم لكسب الاقتصاد وتحسين الميزانية ، وقد استوردت هذه الفكرة من أوربا التي لا تؤمن إلا بالبطن والمعدة ، ولا تفكر إلا حول ذلك ، سرى هذا السرطان الغربي في كل جزء من أجزاء العالمين العربي والإسلامي ، فقلب تيار الحياة .

لكل تعليم روح وضمير ، فالتعليم الإسلامي له روح وضمير ، وهو يصنع الإنسان إنساناً كاملاً يعيش للآخرين ، ويؤثرهم على نفسه ، وللتعليم الغربي روح وضمير ، ولا تخفى آثاره على كل من له بصر وبصيرة ، قال تعالى : (وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُوْلَـٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) (البقرة : ٢٢١) .

قصيدة / حول خليل الله إبراهيم عليه السلام

بقلم : الأخ أبوبكر الصديق الفيضي الندوي (كيرالا)

(إليكم القصيدة في سرد قصة سيدنا خليل الله إبراهيم من بحر الوافر في ٥٢ بيتاً بمناسبة حلول موسم الحج وعيد الأضحى المبارك)

١. تعالَوا نَلتقِي يوما نُزكّي ... بإبراهيمَ فخرَ الأنبياءِ
٢. وقِصَّتُه لَمِن عَجبِ العُجابِ ... تَهزُّ القلبَ من فَرْط البلاءِ
٣. حياةٌ كلُّها أحداثُ مِحَنٍ ... وموقفُه مثالٌ للوفاءِ
٤. تَربَّى في بيوتِ الشركِ طِفلا ... وشاهدَ كلَّ أصنافِ الغَباءِ
٥. أبوه يَبيعُ أصناما جَمادا ... ليَعبُدَها الرجالُ مع النساءِ
٦. جمادٌ لا يَرى شيئا ويسمعْ ... يَراه الناسُ آلهةَ الرجاءِ
٧. ووالدُه الذي يُرجَى الرشادُ ... يَقود الناس أطرافَ الشقاءِ
٨. وكانت نفسُه ، لكنْ تميلُ ... بفطرتِها إلى ربِّ السماءِ
٩. وكان يَرى الأمورَ بأمِّ عين ... ويُحزنه ضَلالُ الأوليـاءِ
١٠. وحاكمُهم يُعاملهم عَبيدا ... هو النّمرودُ أقوَى الأشقياءِ
١١. يُحرِّضُهم على الإشراك دوما ... يُذيقُ خُصومَه كلَّ العَناءِ
١٢. يُباهِي بالذي يَحظَى فَخورا ... كأنَّ قِوامَه رهنُ البقاءِ
١٣. وإبراهيمُ يَنظر حولَه كي ... يَرى الأوثانَ تُعبدُ للشقاءِ
١٤. وليس هناك من يَزجرْ بِـ لا لا ... خِلافَ جُهولِ ما للأغبياءِ
١٥. أحسَّ خليلُ ربِّ العالمينَ ... وجوبَ وُقوفِه ضدَّ الوباءِ
١٦. لأصنامٌ تُصوَّرُ بالأيادِي ... يُقدِّسها ويَعبدُ هؤلاءِ
١٧. وكان إذا رأى الأصنامَ تُعبدْ ... يُنكِّرُه ويَزجرُ بالإباءِ
١٨. ولكنَّ الجهالةَ حوَّلتْهُم ... عن الإخضاعِ للقول السَّواءِ
١٩. وفكَّر أن يُلقِّنَهم دُروسا ... بإسكاتِ الرجالِ بلا مِراءِ
٢٠. فيوما كان ذاك اليومُ عيدا ... لهم كانوا على حدٍّ سواءِ
٢١. بضاحيةِ المدينةِ تاركينَ ... بُيوتَ إلهِهم دونَ اعتناءِ
٢٢. وإبراهيمُ يتَدخلُها يريد ال ... قضاءَ على سفاهتِهم بسوءِ
٢٣. ويكسِر معظم الأصنام فيها ... وأكبرَها يُمهِّل كَي يُرائِي
٢٤. كأن كبيرَها كسَرَ البواقي ... يَعودُ إليه عُقبَى الاعتداءِ

٢٥. ولـمّـا زارت الأقوامُ عَودا من الأعياد مَعبدَهم المسائِي
٢٦. لـقد دُهِشوا لما شَهدوا عيانا لآلهةٌ أُطـيـحَـتْ باعـتداءِ
٢٧. وكـانوا أدركوا أن المصيبه لما حلّت بها ، عـنـد اللـقاءِ
٢٨. بدون شَـطارةِ الشـابِّ الفَتيِّ رأوه في مُـخـاطرة اللجوءِ
٢٩. ولـمـا سائلـوه عن القضيَّة أشار الى أكـابـرِهـا بسوءِ
٣٠. وكانوا أدركوا أن الـجـمادا لما يَـدنـو بـخـيـرٍ أو بلاءِ
٣١. ولـكـنَّ الـغـباوةَ أوقفَتْهم جُـمـودُ عـقولهم أسبابُ داءِ
٣٢. أقـرُّوا مُـجـمَـعا إلقاءَه في لهيبِ الـنـار نـاقمةِ العداءِ
٣٣. ولـكـنْ قـد أقرَّ الله أن لا يضرَّه نارُ عـدوان الـجـلاءِ
٣٤. أشار الـنـارَ بالتبريد طَوعا لكي ينجو الـخليل من الدهاءِ
٣٥. كذا خَرج الـخليلُ من العذاب سلـيـمـا آمـنـا طِبقَ الرجاءِ
٣٦. مـثالاً خـالـداً للـعـالمين لـنصـر الله في صبر البلاءِ
٣٧. هـناك أماثلٌ أخرى له في ال تضاحي والـعـزائم والوفاءِ
٣٨. يُـضـحِّي بابنه يُرضِي الإلهَ رجاءً ما بـعاقبةِ الـفِـداءِ
٣٩. ويـتـرك أهلَـه طوعَ الإله بدون النظر فيما في الـخفاءِ
٤٠. بـكلـمـات بَـلاهُ الله لـكنْ أتمَّ جميعَها هـو ذو الـصفاءِ
٤١. فـتـوَّجَـه بتِيجانِ الإمامة يَؤمُّ الناسَ طُرًّا فـي اعتلاءِ
٤٢. وكـان يُـريدها أيضا تَدوم بأولادِ الـخليل على السواءِ
٤٣. ولـكـن أنكـر الله الإمـامـة لـمـن يعدو طريقَ الأنبياءِ
٤٤. كـذا كـان الـخليلُ بديلَ أُمَّة يُساوي بالصفات أولي العلاءِ
٤٥. وسـمّـانـا سـويًّا مسلمين وسـنَّ لـنـا مناهجَ لاقتداءِ
٤٦. وقـبـلـنُا تُـذكّرنا جميعاً به وبنَجلِه رمـز الـوفـاءِ
٤٧. وحـجُّ الـبيت يَحمل من مآثرْ خوالدَ للخليل أُولـي الـثناءِ
٤٨. صفا ، مروة ، وزمزم كلُّ هذِي رُموزٌ خـالـداتٌ لـلـفداءِ
٤٩. يُسجِّـل ذكـرَه الـتاريـخُ حقًّا بماء الذهبِ فَـخـرا بانتماءِ
٥٠. إمام الأُمَّـة الـغَـرّاء فيه شَمائلُ أُمَّة طِـيبِ النَّـمـاءِ
٥١. وصـلِّـى اللهُ على ولدِ الذبيح وآلٍ والصحابـة ذا دُعـائِي
٥٢. صـلاةُ الله والـتـسليمُ دَوما على آلِ الخليل مع الرجـاءِ

شرح وتعليق :

١. زكّاه أي مدحه وأثنى عليه والباء زائدة . المعنى : هلموا لنجتمع يوما نثني على إبراهيم ، حقيق أن يوصف أنه فخر للأنبياء .

٢. وقصته من أعجب العجائب . إن شدة البلايا التي واجهها في حياته تحرك القلوب وتوقظها .
٣. الأحداث جمع حدث . المحن جمع محنة أي الابتلاء .
٤. الغباء الجهالة وقلة الفطنة . إن إبراهيم نشأ وكبر في بيت يُرتكَب فيه الشرك ويعمل فيه التماثيل .
٥. أبوه آزر كان يعمل الأصنام ويبيعها وكان الناس رجالاً ونساءً ؛ يعبدون تلك الآلهة الجامدة .
٦. مجرد جماد لا يرى ولا يسمع شيئاً ولكن الناس يرونه إلهاً ويرجون منه ما يحتاجون .
٧. ووالده الذي يُتوقع منه أن يكون عاقلاً رشيداً ، يدعو الناس إلى الشقاء والهلاك .
٨. ولكن نفس إبراهيم بطبيعتها تميل إلى الله الأحد الذي هو رب السماوات والأرض .
٩. وكان يرى الأشياء بعينه مباشرةً حقيقياً ويقلقه ضلال أولياء الأمور فيهم ؛
١٠. ومَلِكُهم وحاكمُهم النمرود يعامل مع الرعية كما يعامَل مع العبيد . ولديه سلطة وصولة فهو أقوى شخص في زمرة الأشقياء .
١١. يحث الملك دائماً على الإشراك بالله ويذيق المخالفين له بشتَّى العذاب ويُتعبهم .
١٢. يفتخر بما عنده من نعم الدنيا ويباهي به كأنه مضمون البقاء في الدنيا لمدة طويلة .
١٣. ولما نظر إبراهيم حوله رأى الناس يشقَون ويخسَرون بالعبادة للأصنام .
١٤. وليس فيهم من يمنعهم ويتكلم خلاف الجهول التي يرتكبها الأغبياء والجهلاء .
١٥. في هذا الظرف شعر الخليل إبراهيم عليه السلام بأهمية الوقوف خلاف هذا الغباء الذي انتشر في الناس مثل الوباء .
١٦. صور وأصنام تُبنى وتُكوَّن بأيدي الناس وبعد ذلك يقومون بتقديسها وعبادتها بدون حياء .
١٧. الإباء الامتناع وعزة النفس . كان إبراهيم إذا رآهم يعبدونها يتقدم بإنكارها والزجر عنها لعزة نفسه .
١٨. لكن جهالتهم حالت دون خضوعهم للقول السديد .

١٩. لقَّن : ألقى أو علَّم ، مراء : جدال . وفكر إبراهيم في أن يلقيهم درساً يكفي لإسكاتهم بدون جدال .
٢٠. ذات يوم ، كان ذلك يوم عيد لهم . كانوا جميعاً .
٢١. الضاحية : منطقة خارج المدينة . اعتناء : عناية . كانوا كلهم خارج المدينة تاركين أصنامهم من غير اهتمام .
٢٢. قضى عليه : أهلكه وأفناه . انتهازاً للفرصة ، دخل إبراهيم إلى الأصنام ، يريد كسر وإفناء تلك الأوثان التي هي دليل على سفاهتهم ، بشكل سيئ .
٢٣. فكسر معظم الأصنام فيها وأبقى أكبرها ليوهم الناس أنه هو الذي قام بكسرها .
٢٤. كي يظن الناس أن الصنم الكبير هو الذي كسر البواقي فيرجع العتاب والعقاب إليه .
٢٥. ولما قاموا بزيارة المعبد المسائي في عودتهم وقت المساء .
٢٦. أطاح : أسقط أو أفنى . اعتدى : ظلم عليه . أي فاجئهم وأدهشهم منظر آلهتهم قد أسقطت في الأرض بالظلم عليها .
٢٧. وتيقنوا عند لقاء ذلك المنظر ، أن المصيبة ما نزلت بها .
٢٨. الشطارة : الدهاء والمهارة والاحتيال . خاطر : غامر به ، كاد يلقي نفسه في الخطر . أي إلا بدهاء وحيلة من الفتى الشاب الذي كان يخطط ويغامر ليلجأ إلى المعبد كي يرتكبها .
٢٩. المآل : ما صار إليه الأمر ولما سألوا إبراهيم عما صار إليه الأمر ، أوهمهم أن الكبير هو الذي قام بهذا العمل " السيئ " .
٣٠. وأيقنوا أن الجماد ليس له قدرة على إيصال خير أو شر .
٣١. ولكن جهالتهم أوقفتهم عن الاستلام به لأنهم مصابون بمرض بسبب جمود عقلهم .
٣٢. وعزموا على رميه إلى لهيب النار التي أعدت انتقاماً على عداوتهم .
٣٣. عدوان الجلاء : العدوان الجلي أي البين . أي ولكن الله أراد أن لا يصيبه شيئ من أثر تلك النار التي أعدت من العدوان البيِّن .
٣٤. دهاء ، داهية : مصيبة .أي أمر الله النار : كوني برداً وسلاماً على إبراهيم ، كي ينجو إبراهيم من مكر أعداءه .
٣٥. هكذا خرج إبراهيم من حريق النار سالماً آمناً مطابقاً لما يُرجَى .
٣٦. صار إبراهيم مثالاً خالداً لنصر الله ينصر الصابرين عند البلاء .

٣٧. هناك أمثال أخر في التضحية والعزيمة والوفاء لخليل الله إبراهيم عليه السلام .
٣٨. ضحَّى بابنه طالباً رضا الرب وراجياً ما يناله من الجزاء للفداء .
٣٩. إشارة إلى ترك أهله هاجر وطفله إسماعيل في أرض مكة في واد غير ذي زرع عند بيت الله المحرم .
٤٠. إشارة إلى الآية ١٢٤ من سورة البقرة : (وَإِذِ ابْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّٰلِمِينَ) .
٤١. تيجان جمع تاج . طرّا أي جميعاً في اعتلاء أي في علو ورفعة . أي توَّج الله إبراهيم بتاج الإمامة جزاءً لخروجه من الابتلاءات ناجحاً .
٤٢. فطلب إبراهيم من الله أن يديم الإمامة في ذريته أيضاً .
٤٣. ولكن الله رفضه إجمالاً بقوله لا ينال عهدي الظالمين . أي الذي جاوز طريق الأنبياء – وهم الظالمون – من ذريته ، لا يستحقون الإمامة .
٤٤. إشارة الى الآية رقم ١٢٠ من سورة النحل : (إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ) .
٤٥. إشارة الى الآية رقم ٧٨ من سورة الحج : (مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ) . وآية رقم ٩٥ من آل عمران : (قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ) .
٤٦. النَجل : الولد . الرمز : العلامة . أي إن قبلتنا – الكعبة – تذكرنا بإبراهيم وبولده إسماعيل ، لأنهما هما اللذان قاما ببناءها كما ورد في سورة البقرة الآية رقم ١٢٧ : (وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِيمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ) .
٤٧. المَأثرة : المكرمة المتوارثة . أي وكذلك مناسك الحج أيضاً تحمل عدداً من مكارمه المتوارثة من السعي والطواف ورمي الجمرات وماء زمزم وغيرها .
٤٨. الصفا والمروة وزمزم وغيرها من الشعائر رموز خالدات لذكريات إبراهيم وآله .
٤٩. إن تاريخ فدائه وتضحيته حقاً جدير بأن يكتب بماء الذهب .
٥٠. إن إبراهيم إمام للأمة البيضاء وهو يحتوي على شمائل أمَّة بكاملها طيِّبةِ النماء .
٥١. ولد الذبيح أي ولد إسماعيل . ذا دعائي أي هذا دعائي .

أيقونة الإنسانية صاحب السمو خليفة بن زايد آل نهيان في ذمة الله تعالى

الأخ الحافظ محمد جسير ، كلتور*

رجل من أغلى الرجال ، وقائد من أعظم القادة ، الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان (طيب الله ثراه) ، رئيس دولة الإمارات ، الذي وافته المنية بعد رحلة طويلة من العطاء ، قدم فيها الكثير لبلاده وأمته ، حتى صارت الإمارات أنموذجاً للتطور والحداثة في منطقتنا والعالم . كما كان قائداً محنكاً وشخصيةً وطنيةً من الطراز الرفيع ، أسمى اسم الإمارات عالياً في كافة المحافل ، وكرَّس حياته لخدمة شعبه وأمته . فالآن نحن بصدد الحديث عنه بالإيجاز .

وُلد الشيخ خليفة في ٧/ سبتمبر ١٩٤٨م في قلعة المويجعي في مدينة العين ، عندما لم تكن دولة الإمارات العربية المتحدة موجودةً أصلاً . وسمي على اسم جده الأكبر الشيخ خليفة بن شخبوط .

كان يبلغ من العمر ١٨ عاماً فقط عندما تم تعيينه ممثلاً للحاكم في المنطقة الشرقية بعد أن أصبح الشيخ زايد حاكماً لإمارة أبوظبي ، وانتقل إلى العاصمة في عام ١٩٦٩م ، بينما كانت الإمارة لا تزال محمية بريطانية ، تم تعيينه ولي عهد أبو ظبي .

وتولى الشيخ خليفة الحكم في الإمارات إثر وفاة والده الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان في نوفمبر/تشرين الثاني ٢٠٠٤م ، وفي يناير/كانون الثاني ٢٠١٤م أصيب بجلطة ، فترك إدارة شؤون إمارة أبو ظبي لأخيه الشيخ محمد بن زايد .

في أول يوم وطني لدولة الإمارات العربية المتحدة بعد توليه الرئاسة عام ٢٠٠٤م ، تحدث الشيخ خليفة عن حزنه العميق لوفاة والده . لكن الفجيعة والحزن جاءا أيضاً بإحساس عميق بالمسؤولية لمواصلة إرثه .

وقال : " ستبقى قيم الشيخ زايد وأسلوبه القيادي منارةً ستستمر في توجيهنا في الوقت الذي نعزز فيه اتحادنا ، ونحافظ على الإنجازات والمكاسب التي حققتها الدولة في مختلف مجالات التطورات " .

استخدم الشيخ زايد الثروة النفطية للبلاد لبناء دولة حديثة يتمتع فيها كل من الإماراتيين والمقيمين من الخارج بمستوى عالٍ من المعيشة . واصل الشيخ خليفة سياسة " الباب المفتوح " التي اتبعها والده ، حيث يمكن للناس من جميع الجنسيات والأديان التعايش بسلام .

* طالب الماجستير ، جامعة دار الهدى الإسلامية ، كيرالا .

في عهد الشيخ خليفة ، تمَّ تنفيذ مشاريع تنموية على مستوى الدولة بقيمة تزيد عن ٤٠ مليار درهم . أصبح التعليم والرعاية الصحية مجالات محورية . حتى تم بناء المدارس والجامعات والمستشفيات لتحسين نوعية الحياة في الإمارات .

كان من أعظم إرث الشيخ خليفة اهتمامه الشديد بتوفير السكن المجاني والدعم المالي للإماراتيين . قالت مريم الكعبي سفيرة دولة الإمارات العربية المتحدة بالقاهرة ومندوبتها الدائمة لدى الجامعة العربية : إن حكم الشيخ خليفة ، رحمه الله ، تميز منذ تسلمه رئاسة دولة الإمارات العربية المتحدة في نوفمبر ٢٠٠٤م ، بمواصلة النهج الحكيم للقائد المؤسس الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان ، طيب الله ثراه ، مستمراً في مسيرة العمل والإنجاز بكل أمانة ، فكانت مرحلة التمكين ، فوضع بصماته في برنامج التمكين السياسي ، الذي أطلقه رحمه الله ، في عام ٢٠٠٥م ، وكانت أول انتخابات للمجلس الوطني الاتحادي ، ضمن برنامج التمكين ، الذي كان هدفه تمكين أبناء الوطن وإشراكهم في صناعة مستقبل الإمارات .

على عكس العديد من القادة العرب ، لا يُعرف الكثير عن حياة الشيخ خليفة الخاصة . قال معارفه : إنه كان شغوفاً بالصقارة ويستمتع بالصيد . كان الانطباع الأكثر شيوعاً الذي تركه وراءه هو أنه كان صبوراً ولطيفاً ومستمعاً شغوفاً . وقد قال الشيخ محمد ذات مرة في مقابلة له : إن شقيقه الأكبر الشيخ خليفة كان رجلاً صبوراً .

السنوات الأخيرة من رئاسته لم تشهده على المنصات العامة بسبب اعتلال صحته . وفي إشادة مؤثرة ، قال الشيخ محمد : " إن المغفور له بإذن الله تعالى كان قلب عائلتنا والوصي على أمتنا " . قال صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم ، نائب رئيس الدولة رئيس مجلس الوزراء حاكم دبي : " إن عطاء الشيخ خليفة للبلاد كان بلا حدود ، وكان منشغلاً بتعزيز رفاهية المواطنين " .

بينما كان الناس في الإمارات يغمرونه بالحب ، نمت مكانة الشيخ خليفة على المسرح الدولي أيضاً . وواصل بناء سياسة خارجية سليمة تقوم على مبادئ السيادة والاحترام والتعاون الثنائي . ومن الجدير بالذكر قراراته الجريئة التي ساعدت في تحويل دولة الإمارات العربية المتحدة إلى مكان للتسامح يفتح أبوابه للمغتربين من جميع أنحاء العالم . كماجعله في تمكين المرأة أحد رواد العالم فيما يتعلق بالمساواة بين الجنسين .

ولذلك سيبقى في الأذهان طويلاً من قبل جميع الذين يعملون من أجل الاستقرار الإقليمي ، والتفاهم بين الأمم وبين الأديان . نسأل الله أن يتغمده برحمته ويسكنه فسيح جناته ويرزق أهله وأحبائه وشعبه الصبر والسلوان .

(١) الشيخ محمد عباس الندوي المدني إلى رحمة الله تعالى

قلم التحرير

كان الشيخ محمد عباس الندوي المدني من مديرية سنسري نيبال ، درس في دارالعلوم نور الإسلام بجلفافور ثم واصل دراسته في دارالعلوم لندوة العلماء عام ١٩٥٤م ، ودرس عند الإمام الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي وغيره من الأساتذة ، وتخرج منها عام ١٩٦٦م ، وعاد إلى وطنه ، وبدأ يدرس في دارالعلوم نور الإسلام إذ فاجأته بشرى التحاقه بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عام ١٩٦٦م ، فسافر إلى المدينة والتحق بقسم الدعوة وأصول الدين في الجامعة الإسلامية بالمدينة ، وأقام فيها إلى عام ١٩٧١م ، ثم رجع إلى وطنه وانتخب أستاذاً بدارالعلوم نور الإسلام بجلفافور ، وبعد مدة أصبح مديراً لدارالعلوم إلى أن تقاعد عام ٢٠٠٦م ، وانتقل إلى رحمة الله تعالى في ١٢/ رمضان ١٤٤٣هـ ، المصادف ١٤/ أبريل ٢٠٢٢م يوم الخميس ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

ترك الشيخ محمد عباس الندوي خلفه عدداً كبيراً من التلامذة الذين يخدمون الإسلام في مناطق نيبال ، وكان رحمه الله مدرساً ناجحاً ، وخطيباً بارعاً ، يحضر الاجتماعات الدينية والحفلات الإسلامية ، كما ترك وراءه أهله وأولاده .

رحمه الله رحمةً واسعةً ، وأغدق عليه شآبيب رحمته ، وألهم أهله وذويه الصبر الجميل .

(٢) الشيخ حفيظ الرحمن الأعظمي العمري إلى رحمة الله تعالى

انتقل إلى رحمة الله تعالى الشيخ حفيظ الرحمن الأعظمي العمري رئيس جامعة دار السلام بعمر آباد في ٢٢/ من شوال ١٤٤٣هـ ، الموافق ٢٤/ مايو ٢٠٢٢م ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كان الشيخ حفيظ الرحمن الأعظمي من مواليد ٣/ أبريل ١٩٤١م ، بعمر آباد ، تامل نادو ، جنوبي الهند ، درس في دارالعلوم جوك عند المفتي محمود الحسن ، ثم التحق بالقسم العربي بجامعة دار السلام بعمر آباد ١٩٥٣م ، ونال شهادة الفضيلة في ٢٩/ يناير ١٩٦١م ، ثم واصل دراسته في كلية الشريعة بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، وتخرج في عام ١٩٦٥م .

قضى الشيخ حفيظ الرحمن الأعظمي حياة العلم والعمل ، كان مدرساً في جامعة دار السلام بعمر آباد ، وقضى عدة أعوام في نائيجيريا وإفريقيا ، وماليزيا كداعية إسلامي ، ثم استقر به المقام في جامعة دار السلام ، فكان يدرس فيها ، ويدير مجلة راه اعتدال الصادرة من جامعة دار السلام . من مؤلفاته متاع قرآن ، والغزو الفكري ، ومجموعة خطبه ، ورحلة الحج والعمرة ، وآداب الاختلاف في الإسلام .

رحمه الله رحمةً واسعةً ، وغفر له زلاته ، وأدخله فسيح جناته .

(٣) الشيخ أبو البقاء الندوي إلى رحمة الله تعالى

أفادت الأنباء بوفاة العالم الشيخ أبي البقاء الندوي بن المفتي محمد سعيد الندوي رئيس قسم الإفتاء لدار العلوم لندوة العلماء سابقاً ، وذلك في أعظم جراه ، أترا براديش ، الهند في ٢٩/ شوال ١٤٤٣هـ ، المصادف ٣١/ مايو عام ٢٠٢٢م ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كان الشيخ أبو البقاء الندوي من أبناء ندوة العلماء القدامى ، تخرج في الستينيات من القرن العشرين الميلادي من دار العلوم لندوة العماء ، كان والده الجليل المفتي محمد سعيد الندوي من كبار أساتذة دار العلوم ، كان يدرِّس الفقه الإسلامي ، كما كان يرأس قسم الإفتاء بدار العلوم لندوة العلماء ، وقد درست عليه تيسير الوصول في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم في السنة الأولى للتخصص في الأدب العربي بدار العلوم لندوة العلماء .

واصل الشيخ أبو البقاء الندوي أعماله الدينية في دار المصنفين بأعظم جراه ، وقام بتنسيق مكتبتها العامة ، وعُيِّن رئيس جامعة الفلاح بأعظم جراه ، وقضى عدة سنوات في رحاب ندوة العماء كمسئول عن قسم التعمير والبناء ومستشار في المكتبة العامة لندوة العلماء ، وكان يزور ندوة العلماء ويقيم فيها أياماً ، كانت وفاته خسارةً لندوة العلماء بصفة خاصة .

وقد أرسل سماحة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي رئيس ندوة العلماء كلمة التعزية إلى ورثته ، أبدى فيها حزنه على وفاة الأستاذ أبي البقاء الندوي .

رحمه الله رحمة واسعة ، وأغدق عليه شآبيب رحمته ، وغفر له زلاته وألهم أهله وذويه الصبر الجميل .

(٤) والدة الأستاذ ظهير أحمد الصديقي الندوي إلى رحمة الله تعالى

الأستاذ الفاضل ظهير أحمد الصديقي الندوي رئيس مؤسسة الرعاية الاجتماعية بمدينة لكناؤ من العلماء العاملين في مجال التعليم والخدمات العامة ، وهو مثابر على هذا العمل منذ ربع قرن ، وأنشأ خلال هذه المدة كلية الحياة للطب اليوناني ومركز الأبحاث في لكناؤ ، قد أصيب فجاءةً بوفاة والدته في ٢٩/ شوال ١٤٤٣هـ ، المصادف ٣١/ مايو ٢٠٢٢م ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كانت الراحلة الكريمة من فضليات النساء ، ربّت أولادها على خلال من الإيمان واليقين ، وهم يعملون في مجالات متنوعة ، كانت الراحلة ذات صحة وعافية إذ فاجأتها المنية ، وغادرت إلى ربها ، وقد صلى عليها كاتب هذه السطور في جماعة من المثقفين والأطباء والأساتذة وغيرهم ، وتم دفنها في مقبرة خاصة مجاورة لكلية الطب اليوناني .

ونحن إذ نعزي الأستاذ ظهير أحمد الصديقي الندوي على هذا الحادث ندعو الله أن يتغمد الراحلة برحمته الواسعة ، فإنه على كل شيئ قدير ، وبالإجابة جدير .

R.N.I. No. (U.P.) ARA/2000/02341
Postal Regd. No. SSP/ LW-NP/64/2021 To 2023
Published on: 3rd of Every Month
Posted at R.M.S. Charbagh Lucknow-04

Despatch Date: 5,6,7
ISSN 2347-2456
Per Copy. Rs. 40/-
Annual Subs. Rs. 400/-

Monthly

AL-BAAS-EL-ISLAMI

Vol. No. 68 Issue. No.06, July 2022

إصدارات حديثة

١ - تجليات السيرة النبوية
٢ - وحدة الأمة في ضوء سورة الحجرات
٣ - مكانة العفو في الإسلام

تأليف
الأستاذ الدكتور محمد أسجد القاسمي الندوي

٤ - مساهمة الدكتور محمد اجتباء الندوي في الأدب العربي

تأليف
د/ محمد إدريس القاسمي الندوي

٥- أربعون حديثا من رياض الصالحين للإمام النووي

اختارها وجمعها
د/ محمد وسيم الصديقي الندوي

تطلب الكتب من مكتبات الهند المعروفة

Designed by Hamid, Mob:9889654027,9918687777, E-mail:hrhamid1962@gmail.com

Printed & Published by ATHAR HUSAIN on behalf of Majlis-e-Sahafat-wa-Nashriyat
(Dept. of Journalism & Publicity) at Azad Printing Press, Nazirabad Lucknow. U.P.
Editor: SAEED -AL - AZAMI - AL- NADWI